Le Caire - 6—2— 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

1ème année-no 866

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦٩ — ٦ فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

على محمود طه

شاعر الارواء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

— ٨ —

« وفى قصيدة تدور حوادثها حول الفن بين الرجل والمرأة وأثر الغريزة فيه ، يتكلم شاعر فنان اتخذ فتاة حسناء نموذجا حيا لفنه ، فأغوته بمفاتن جسدها ، ودفعته بحماسة فى غمار الذات لا يلبث أن يغيق منها ، وقد رأى مدى انهيار روحه وفنه ، والموقف كله شذوذ واضطراب ، وكله عنف وضعف ، وهو تصوير لهذه الحية الخالدة التى يشتهيها الفنانون والشعراء رغم لدغاتها ... »

بهذه الكلمة التحليلية الموجزة يمهد الشاعر لهذه القصيدة الجديدة ، وهى إحدى القصائد الرائعة فى ملحمة « الأرواح والأشباح » ... ومن الصفحة الثامنة والأربعين من هذه الملحمة التى تنيف على أربعمائة بيت من الشعر ، نقدم الصورة الحسية الثانية ، هناك حيث تفتح « تايس » كتابا وتقرأ من قصيدة الحية الخالدة » :

ولفت ذراعين كالحيتين ... على ، وبى نشوة لم تطر
وقد قربت فمها من فمى ... كشفتين من قبس مستعر
أشم بأنفاسها رغبة ... ويهتف بى جفنها المنكسر
تبينت فى صدرها مصرعى ... وآخرة العاشق المنتحر !!
أفى حلم أنا ؟ أم يقظة ؟ ... ومن أنت أيتها الخاطئة ؟
هوالحب ؟ لا . بل نداء الحياة ... تلبيه أجسادنا الظامئة
يخف دمى لصداه الحبيب ... وتدفعنى القدرة الهازئة
كأنى بهجر بعيد الفرار ... طوى أفقه وزوى شاطئة
أرى ، ما أرى ؟ جسدا عاريا ... تضج به الشهوة الجائعة
أرى ، ما أرى ؟ حدق ساحر ... تؤجان بالنظرة الرائعة
أرى ، ما أرى ؟ شفتى غادة ... ترفان بالقبلة الخادعة
تساقطنى ثمرا ! ما أرى ! ... أرى حية الجنة الضائعة!
بعينك أنت ، فلا تنكرى ... صفات أنوثتك الشاهدة
تمثلت شتى جسوم ، وكم ... تجددت فى صور بائدة
نعم أنتهن ... نعم ما أرى ؟ ... أرى الكل فى امرأة واحده
لقد فنيت فيك أرواحهن ... وها أنت أيتها الخالدة !
لقد كنت وحى رخام يصاغ ... فأصبحت لحما يثير الدماء
وكنت فتى ساذجا لا أرى ... سوى دمية صورت من نقاء
أنيل الثرى قدمى طاير ... يعيش بأحلامه فى السماء
فأصبحت شيئا ككل الرجال ... وأصبحت شيئا ككل النساء !
وكنت أميرة هذى الدمى ... وصورة حسن عزيز المثال

وكنت نموذج فن الجمال أحبك للفن لا للجمال
أرى فيك مالا تحد النهى كأنك معنى وراء الخيال
فجردتنى رجلا أشتهى وجردت أنثى تشهى الرجال !
دعينى حواء أو فابعدى دعينى إلى غايتى أنطلق
أخمر ونار ؟ لقد ضاق بى كيانى وأوشك أن أختنق
أرى ما أرى ؟ لهبا ؟ بل أثم رائحة الجسد المحترق !
فيالك أفعى تشهيتها ويالى من أفعوان نزق !

أتعرف ملكة « المزاج الفنى » ؟ . . . إذا استطعت أن تتخيل القصيدة الشعرية بأدائها النفسى جسما من الأجسام ، وإذا استطعت أن تفترض كل ملكة من الملكات السابقة عضوا عاملا فى حركة هذا الجسم ، وإذا استطعت أن تتمثل الحيز الذى يشغله هذا الجسم من الوجدان المتذوق مكونا من تلك المجموعة من الأعضاء ؛ إذا استطعت أن تتخيل وأن تفترض وأن تتمثل هذا كله ، فإن ملكة المزاج الفنى هى الثوب الذى يلتف حول هذا الجسم بمجموعة أعضائه ليبرز تقاطيعه للعيون ويكشف عن مفاتنه ! إنه أشبه بالثوب الذى ترتديه أى حسناء . . . قد يكون جسمها نموذجا خاصا لجمال كل عضو من أعضائه على حدة ، وقد يكون جسمها نموذجا عاما لتناسق تلك الأعضاء مجتمعة ، ولكن الثوب هو الحكم الأخير الفاصل بين أجساد الحسان ، لأنه هو وحده الذى يطلعنا على مدى التفاوت الجمالى بين جسد وجسد ! هناك ثوب يوحى إليك أن صانعه غير « فنان » ، لأنه لم يراع النسب الفنية بينه وبين جسم صاحبته : من ناحية الطول والقصر ، ومن ناحية الضيق والسعة ، ومن ناحية الكماليات التى تلتمس مظاهر الزينة وتوائم بين لون الثوب ولون البشرة . . مثل هذا الثوب لاشك أنه يظلم الجسد الجميل لأنه يقدمه للعيون على غير حقيقته ، على تلك الحقيقة الأخرى التى اقتضاها ذوق صانع غير فنان . ماذا ينقص هذا الصانع من « ملكات الفن » ليصنع « ملكات الجمال » ؟ تنقصه ملكة المزاج الفنى ، ملكة تفصيل « الأثواب الكاشفة » عن مفاتن الأجساد ! .

المزاج الفنى إذن هو المسئول ، بل هو واضع الحدود والفروق بين طابع كاتب وكاتب وبين طابع شاعر وشاعر . . . خذ مثلا طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم — ككتاب فى مجال القصة وحدها لا فى مجال آخر — فستجد أن طه فى « شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » يمثل الطابع الأدبى فهو قصاص أديب ، وستجد أن العقاد فى « سارة » يمثل الطابع الفكرى فهو قصاص مفكر ، وستجد أن توفيق يمثل الطابع الفنى فى عدد من قصصه فهو قصاص فنان . وخذ العقاد مرة أخرى وعزيز أباظه وعلى طه — كشعراء — فستجد أن الأول يمثل المزاج الفكرى فهو شاعر مفكر ، وأن الثانى يمثل المزاج الأدبى فهو شاعر أديب ، وأن الثالث يمثل المزاج الفنى فهو شاعر فنان . هذا التقسيم واضح كل الوضوح فى الأدب المصرى الحديث كما هو واضح كل الوضوح فى الأدب الفرنسى الحديث ، وبخاصة فى فن القصة — أندريه جيد وفرانسوا مورياك كلاهما نموذج لهذا القصاص الأديب ، وجان بول سارتر وبول كلودل كلاهما نموذج لهذا القصاص المفكر ، وجان كوكتو وجان إنوى كلاهما نموذج لهذا القصاص الفنان !

ولا داعى بعد ذلك لأن نخوض فى التفسير والتحليل ، وفى التمثيل والتطبيق ، خشية أن نخرج عن موضوعنا الرئيسى وهو دراسة هذا الشاعر المصرى ذى المزاج الفنى النادر . . . حسبنا أن نقول لك إن على طه ليس شاعرا من أولئك الذين يصوغون الحياة أفكارا « منظومة » عارية من وشائج اللحم والدم ، وليس شاعرا من أولئك الذين ينقلون الحياة نقلا « فوتوغرافيا » خاليا من عناصر الإبداع والفن ، ولكنه من أولئك الذين يتفردون بالذاتية والأصالة عند تصوير الحياة فى لحظات التوهج والتوثب والانطلاق !

إن الشعر دفقة وانتفاضة . . . دفقة يتلقاها الشعراء جميعا ، ولكن فيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن وحده ، وفيهم من يتلقاها بانتفاضة الحس وحده وفيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن والحس والشعور فى وقت واحد . ونفرق نحن بين هذه الألوان من الانتفاضات فى محاولة فنية نهدف من ورائها إلى استشفاف « الحقيقة الشعرية » من خلال « أثوابها الكاشفة » وننتهى إلى أن حقيقة الشاعر الأول صاحب الانتفاضة الأولى هى « وجهة نظر » فكرية ، وإلى أن حقيقة الشاعر الثانى صاحب الانتفاضة الثانية هى « وجهة نظر » أدبية ، وإلى أن حقيقة الشاعر الثالث صاحب الانتفاضات الثالثة

هى « وجهة نظر » فنية . . وهكذا تجد مزاج الشاعر المفكر ، ومزاج الشاعر الأديب ، ومزاج الشاعر الفنان !

وقبل أن نستعرض فنون هذا المزاج الفنى فى قصيدة « الحية الخالدة »، قبل هذا أن نود أن ترجع إلى العدد (٨٠٣) من الرسالة الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨ ، حيث وردت فى مقالنا « دفاع عن الأدب » هذه الفقرات : « يقول كرونشه : إن الفنان لا يمكن أن يوصم من الناحية الأخلاقية بأنه مذنب ، ولا من الناحية الفلسفية بأنه مخطىء ، حتى ولو كانت مادة فنه أخلاقا هابطة ، فهو — كفنان — لا يعمل ولا يفكر ، ولكنه يعبر ... إن فنا يتعلق بالأخلاق أو اللذة أو المنفعة ، هو أخلاق أو لذة أو منفعة ولن يكون فنا أبدا ! ! ... ولئن كانت الإرادة قوام الإنسان الخير فهى ليست قوام الإنسان الفنان ؛ ومتى كان الفن غير ناشىء عن الإرادة فهو فى حل كذلك من كل تمييز أخلاق . إنك لا تستطيع أن تحكم بأن فرانسكا دوانتى منافية الأخلاق ، ولا أن جوردلياشكسبير أخلاقية ، وما هما إلا لحنان من روحى دوانتى وشكسبير ليس لهما إلا وظيفة فنية ، إلا إذا استطعت أن تحكم على الربع بأنه أخلاق وعلى المثلث بأنه لا أخلاق ! ... إن من تفرعات المذهب الأخلاقى قولهم إن غاية الفن أن يوجه الناس نحو الخير ؛ ويبث فيهم كره الشر ، ويصلح من عاداتهم ، ويقوم من أخلاقهم ، وإن على الفنانين أن يساهموا فى تربية الجماهير وتقوية الروح القومى أو الحزبى فى الشعب ، أو إذاعة المثل الأعلى الذى يفرض على المرء أن يحيا حياة بسيطة جاهدة وما إلى ذلك ، والحق أن هذه أمور لا يستطيع الفن أن يقوم بها أكثر مما تستطيع الهندسة أن تفعل ، فهل عجز الهندسة هذا يجردها من حقها فى الاحترام ؟ فليت شعرى لم يريدون إذن أن يجردوا الفن من مثل هذا الحق فى مثل هذه الحال » ؟ !

هذا الرأى للفيلسوف الإيطالى المعاصر بندتو كروتشه فى نقد المذهب الأخلاق فى الفن ، وهو رأى نؤمن به كل الإيمان ويؤمن به كل محيط يقيم الشعر كما يفهمها الشاعر الفنان . ولقد رأينا أن ننقل هذا الرأى لأننا نعلم أن أناسا سيعترضون على هذا اللون من الشعر ، لأنهم يخلطون بين رسالة الفن ورسالة علم الأخلاق . أو لأنهم يطلبون إلى الشاعر أن يكف ريشته عن تصوير أثر الغريزة الإنسانية ، ناسين أنها نداء خالد يلبيه الأحياء منذ الأبد لتبقى الحياة ، ويهتف به الفنانون على مدار الحقب ليبعثوا الروح فى كل فن جميل !

أليس الفنان مطالبا بأن يمد عينيه ليرقب ، وأن يرهف أذنيه ليسمع ، وأن يهيىء نفسه وحسه ليسجل ؟ هكذا كان على طه فى كثير من شعره ، وكذلك هو فى « الحية الخالدة » ... إنه لم يزد على أن جرب الحياة فأحس عمق التجربة ، وأصغى إلى نداءها العميق فعاش فى أعماق النداء ، ورصد أدق خفقة من خفقات قلبها الكبير فأحسن الرصد ، وسجل هذا كله تسجيلا يتميز بالصدق والحرارة فى مثل هذا الأداء :

ولفت ذراعين كالحيتين ... على وبى نشوة لم تطر
وقد قربت فمها من فمى ... كشقين من قبس مستعر
أشم بأنفاسها رغبة ... ويهتف بى جفنها المنكسر
تبينت فى صدرها مصرعى ... وآخرة العاشق المنتحر ! !

هنا مزاج فنى يشرف على انتفاضة الذهن والحس والشعور ، ويخلع أثوابه الدقيقة على هياكل الكلمات ، ويسلط أضواءه الكاشفة على مسارب الغريزة ومشاهد التجربة ، وهى لحظة تمر بكل إنسان فهم المرأة حق الفهم ، وعشق الفن كل العشق ، واتخذ من الجسد سلمه إلى استكناه الطبيعة الأنثوية . وعلى درجات هذا السلم تنتقل ملكة المزاج الفنى مخلفة آثار أقدامها على كل درجة ، تاركة معالم الخطى فى كل دورة من دورات الصعود ونحصى تلك الدرجات التمهيدية فإذا هى أربع تتفق معها فى العدد تلك الخطى الفنية : الدرجة الأولى « ولفت ذراعين كالحيتين » والدرجة الثانية « وقربت فمها من فمى »، والدرجة الثالثة « أشم بأنفاسها رغبة » والدرجة الرابعة « تبينت فى صدرها مصرعى » . أما تلك الخطى الفنية التى تقودها ملكة المزاج الفنى فهى تلك المقابلة الحسية بين حركتى الالتفاف فى البيت الأول : التفاف الذراعين الأنثويتين حول الرجل فى لحظة من لحظات الغريزة الإنسانية الخالدة ، والتفاف الحيتين الرقطاوين حول الفريسة فى لحظة من لحظات الغريزة الوحشية الفاتكة . ثم تلك المقابلة النفسية بين حركتى التقبيل فى البيت الذى يليه ، حين يبلغ تصوير اللظى المتوهج

على أطراف الشفاه مبلغ القبس المتأجج فى النار المشتهاة . ثم تلك الانطباعة التجسيدية فى البيت الثالث ، حين يستحيل الدعاء المتوثب بين الجوانح إلى رغبة تشم فى الأنفاس ، وحين ينقلب النداء المتوقد بين الحنايا إلى هتاف يصرخ تحت انكسار الجفون . ثم تلك اللمعة التخيلية فى البيت الرابع ، حين يصبح الصدر الفاتن فراشا مهيأ لاحتضار الأشواق ، أو طريقا ممهدا لانتحار العشاق ! ترى هل هى فورة من فورات الحب ؟ كلا ! بل هى صرخة من صرخات الجسد . وإذا بنا نعود مرة أخرى إلى جو تلك الواقعة التى حدثناك عنها فى أحد الفصول الماضية ؛ هى هناك فى « أتوابها النفسية » التى تنظمها ملكة الوعى الشعرى ، وهى هنا فى « أتوابها الحسية » التى تصنعها ملكة المزاج الفنى ، ونرجو أن تلاحظ هذه التفرقة الدقيقة بين عمل الملكات الشعرية فى كل مرحلة من مراحل هذه الدراسة :

هو الحب ؟ لا ، بل نداء الحياة تلبيه أجسادنا الظامئة
يخف دمي لصداه الحبيب وتدفعنى القدرة الهازئة

وتطالعك بعد ذلك « عملية إحصاء » حسية ما تزال تعمل فى حدود الدورة الأولى من دورات الصعود ، على نفس السلم الجسدى الأول الذى ترتقى درجاته ملكة المزاج الفنى لتشرف فى النهاية على هدفها الأصيل ... ومن هذا الإحصاء ذلك « الجسد العارى الذى تضج به الشهوة الجائعة » ، ثم هاتان « الحدقتان اللتان تؤجان بالنظرة الرائعة » ، ثم هاتان « الشفتان اللتان ترفان بالقبلة الخادعة » . وتنتهى إلى ذلك الهدف الأصيل الذى تلتمسه ملكة المزاج الفنى ، فإذا هو تلك النتيجة الأخيرة لعملية الإحصاء الحسية مسجلة فى هذه اللمحة الجامعة :

تساقطنى ثمرا ! ما أرى ؟ أرى حية الجنة الضائعة !

وينقلنا الشاعر إلى الدورة الثانية من دورات الصعود ، حين يخاطب المرأة ذلك الخطاب المتفاعل فى فجاج الواقع الملموس ودروب الحقيقة الخالدة ... ولقد كنا فى الدورة الأولى أمام متحف يموج « بالمعروضات الجسدية » فإذا نحن فى الدورة الثانية أمام متحف آخر يموج « بالحقائق النفسية » وهى معروضات وحقائق أشبه « بمحاليل » تجمعت وتفاعلت داخل تجربة كبرى فى « معمل الحياة » ، ثم انتهت إلى هذا المزيج الأخير الذى يقدمه لنا « معمل الفن » فى هذه الأبيات :

تمثلت شتى جسوم ركم تجددت فى صور بائدة
نعم أنت هن ... نعم ما أرى أرى الكل فى امرأة واحدة
لقد فنيت فيك أرواحهن وها أنت أيتها الخالدة !

ومرة ثالثة يدفع بنا الشاعر إلى دورة جديدة من دورات الصعود ، وهى الدورة الرئيسية التى تتوسط السلم بين الدرجات التمهيدية والدرجات النهائية ... ويأبى المزاج الفنى إلا أن يرج بك على عقدة « الانسياب القصصى » فى فن الشعر ، حين يقف بك وقفة قصيرة بين المقدمات الحسية والنتائج النفسية ، بغية توكيد الصلة الرابطة بين هذه وتلك ! أما عقدة الانسياب القصصى فتبدأ بهذا البيت الذى يمثل فورة الصراع :

لقد كنت وحى رخام يصاغ فأصبحت لحما يثير الدماء !

وتنتهى بهذا البيت الذى يصور حسرة الضياع :

فأصبحت شيئا ككل الرجال وأصبحت شيئا ككل النساء !

ويستمر هذا الانسياب فيما يلى ذلك من أبيات ، حيث يتردد صداه فى تلك الكلمة الموجزة التى قدم بها الشاعر للقصيدة ، والتى أشار فيها إلى انهيار « روحية » الفن أمام « مادية الجسد » أو أمام هذه الحية الخالدة التى يشتهيها الفنانون رغم لدغاتها القاتلة ! ... ويسلمنا الشاعر بعد هذا الانسياب القصصى إلى الخاتمة ، خاتمة القصة التى تشرح لك نفسية فنان تردت مثله العليا فى مهاوى الغزوة العارمة ، حتى إذا أفاق على وخزات الأسى العاصف بكل خلجة من خلجات الضمير ، راح يطلب إلى الأفعى الخالدة أن تخلى بينه وبين الطريق ؛ طريقه الجديد الذى كنت فيه ألف أفعى من أفاعى الندم ! لقد تألم فنه حين عب من الخمر وتعذب شعوره حين اقترب من النار .. لقد تمثل فى حانة الشفاء واحترق فى أتون الجسد :

أخمر ونار ؟ لقد ضاق بى كيانى وأوشك أن أختنق
أرى ما أرى ؟ لهبا ؟ بل أثم رائحة الجسد المحترق ! !

(يتبع)

أنور المعداوى

علي مصطفى مشرفة باشا

للاستاذ عبد الفتاح الديدي

وسط هذه الخسائر المتلاحقة تفقد مصر عالمها العظيم.

والحق أن اللغة العربية هي صاحبة المصاب الأول في هـذا الرجل، لسبب بسيط وهو أن اللغة العربية لم تعهد مؤلفاً بهذه القوة، وكاتبا بهذه الأصالة في ميدان العلم الخالص. وهذا الجانب النظري في العرض العلمي، ناقص عندنا إلى حد يعيب المكتبة العربية، وتبدو حاجتنا واضحة في هذه الأيام إلى الكتابة التفصيلية عن العلوم من أجل سد الفراغ الهائل الذي تراه في المؤلفات والمقليات على السواء. واذا كانت مصر قد أحبت هذا الرجل، وإذا كانت قد بكت البكاء المر حينما انتقل إلى جوار ربه، فلأنه كان يملأ ركناً يعز على الجميع أن يروه شاغراً، ويشتغل بمهمة لا يقوى على القيام بها سوى أفراد قليلين

مات مصطفى مشرفة بعد أن ترك لمصر مجداً أي مجد، وبعد أن شرفها باسمه وعمله وبحوثه جميعاً، وإذا عرفت قيمة العلم والعلماء في مصر ومدى ما نحن فيه من نقص وقصور وذكرت حالتنا العقلية بوجه عام فستعلم آنئذ من هو مصطفى مشرفة، وستدرك مدى الخسارة في هذا الرجل، إذ على الرغم مما نحن فيه من تأخر وجمود علمي في كلا الجانبين، النظري والعملي، نزغت هذه العبقرية النافذة وأطلت على العالم بصورة فذة حقا وخرجت إلى الناس على نحو غريب.

وهو أول من أحس بهذا الضعف الشامل في نواحينا العلمية أول من أخذ يستصرخ الحكومة والأهالي من أجل العناية بهذا الجانب الذي يمكن أن يأتي لنا منه الخير الكثير أو الذي لا يمكن أن يأتي لنا خير من سواه. أنظر إليه متمثلا حينما يقول صدد العلم والصناعة « فالصناعة بأوسع معانيها تشمل موارد الثروة الأهلية من معدنية ونباتية وحيوانية بل وانسانية أيضاً بما تشمل استخدام القوى الطبيعية وتسخيرها لخدمة الأمة راحتها ورفاهيتها ولم يعد من الممكن في العالم الحديث أن يترك هذه الأمور للصدف أو للجهود الفردية، بل يجب على الدولة أن ترسم سياسة إنشائية في تنمية الثروة الأهلية، وهذه السياسة لا يمكن أن تبنى على الحدس والتخمين أو على الجدل والخطب السياسية، بل إن قوامها دراسة الحقائق وإجراء التجارب والبحوث العلمية. ولو أننا استطعنا عن طريق البحث العلمي أن نستنبط طرقا جديدة لصناعة هذه المواد في مصر لربحنا ثروة طائلة. »

مات وقد ترك للمشتغلين بالعلم والثقافة مجموعة من الكتب الجليلة الممتعة على الرغم من أنها في موضوع خاص، وستقول البعض إن هذه الكتب قليلة وصغيرة، بيد أن العلم لا يقاس بالحجم ولا يطالب العالم بالشرح والتطويل ولا يسأل عن التفصيل والتفسير، فذاك من عمل التلاميذ والمريدين؛ وأينشتين نفسه لم يكتب سوى مذكرات بسيطة على صورة مقالات وكانت بحوثه دائما على شكل لمحات خاطفة. وتلك طبيعة العباقرة، ولكن مع هذا فستجد نوعا من الجمال والتفصيل في كتب مشرفة التي قصد بها إلى الناس كيما تؤثر في عقولهم وكيما تفتح قلوبهم وكيما تعمق من إحساساتهم بالحياة، أنظر مثلا في كتابه (العلم والحياة) الذي صدر ضمن مجموعة (إقرأ) بتاريخ أول يناير ١٩٤٦، فستلمس فيه، إلى جانب الروح العلمية والفلسفية والبحث الواقعي الدقيق تفصيلا واضحاً يلائم الدراسة التي تعمل في اتجاه معين؛ وتسيطر عليه فكرة خاصة، ويخدم نوعاً بالذات من أنواع المعرفة.

أما كتابه عن القنبلة والقنابل الذرية فقد جاء صدى لما في عقله من معلومات ثمينة خاصة بهذا الموضوع، وكانت هذه المسألة دائماً محل عنايته فجاء كتابه من بين أروق الكتب في هذا الموضوع وأصبح يعد من مصاف الكتب التي ألفها علماء الغرب في هذه الناحية. وأهم ما يميز الرجل في هذا الكتاب أنه كان واقعياً إلى أقصى درجة، فلم يحاول أن يكون حالماً أو أن يتأثر بنزعة انسانية في الوقت الذي تتصارع فيه الدول عن طريق العلم وتستخدم الطاقة الذرية من أجل ترقية شئونها وحماية ممتلكاتها، أو في الوقت الذي تنشىء فيه كل دولة من الدول لجنة خاصة مزودة بما يلزمها من المعامل والعدد والأموال والرجال حتى تشترك اشتراكاً فعلياً في نتائج هذه البحوث. إنه يؤمن بأن العلم في خدمة الانسان دائماً، وما دام الأمر كذلك فيستحيل أن نقف مكتوفي الأيدي

بازاء هذه المظاهر الحضارية الممتازة في العلم الجديد وفي الصناعة الحديثة. استمع إليه إذ يقول : إن خير وسيلة لاتقاء العدوان أن تكون قادراً على رده بمثله ، وينطبق ذلك على الأسلحة العلمية أكثر من انطباقه على أي شيء آخر . . فالقدرة العلمية والفنية قد صارتا كل شيء ، ولو أن الألمان توصلوا إلى صنع القنبلة الذرية قبل الحلفاء لتغيرت نتيجة الحرب . »

وخلاصة مايقال عن اتجاه مشرفة من الناحية العلمية الخالصة هو أنه قد تأثر بالحركة العلمية في مستهل هذا القرن ، وهذا من شأنه أن يفسر لنا سيطرة الروح الرياضية على أعماله ويبين لنا تأثير دراساته الفلسفية التي حاز فيها درجة الدكتوراه . ألا ليت العلماء عندنا يفطنون إلى قيمة الفلسفة في دراسات العلم .

ومنذ حوالي الثلاثين عاما لم يعد هناك من يشك في الطبيعة الموجية الخالصة للضوء وللاشعاعات الأخرى ؛ بيد أن العلماء — منذ ذلك الوقت أيضاً — قد اكتشفوا بعض الظاهرات التي تنشأ عادة من المواد الاشعاعية ، ولم يمكن تفسيرها حتى ذلك الوقت إلا على وجه واحد وهو ذلك الذي يعمل بوحي من الفهم الجسيمي للمادة وكان أهم هذه الظاهرات هو الأثر الذي ينشأ عن كل من الضوء والكهرباء . وهو عبارة عما تراه في المادة عندما تضيئها ، إذ بمجرد أن تضيء قطعة من المادة — ولتكن معدناً — يذيع منها في حركة سريعة كثير من الكهيربات. وأدت دراسة العلماء لهذه الظاهرة إلى نتيجة هامة ، وهي أن سرعة الكهيربات (الكترونات) المنبعثة لاتعتمد إلا على طول الموجة في الاشعاع الحاصل وعلى طبيعة الجسم المشع ، وفي الوقت نفسه تبين لهم أنها لاتعتمد إطلاقا على حدة أو شدة الاشعاع الحاصل وأن عدد الكهيربات (الالكترونات) المنبعثة هو وحده الذي يعتمد على حدة أو شدة الاشعاع . بل أكثر من ذلك ، ظهر أن طاقة الكهيربات المنبعثة تختلف اختلافا عكسياً مع الطول الموجي للموجة الحاصلة . وعندما تأمل أينشتين في هذه الحقيقة ، تهدى له أن لامندوحة عن العودة إلى القول ببناء جسيمي للاشعاع في حدود معينة إذا شئنا تفسيرها . وصرح بأن الاشعاعات إنما تتكون من الجسيمات التي تصدر كمية من الطاقة ذات النسبة العكسية مع طول الموجة ، واستطاع عقب ذلك أن يبين لنا في وضوح وجلاء أن قوانين الأثر الناتج من الضوء والكهرباء إنما يمكن استخلاصها واستقراؤها من ذلك الافتراض.

وعلى ذلك فلم يكن أمام علماء الطبيعة إلا يحسوا بصعوبة الأمر وأن يشعروا بالربكة والحيرة بين هذه المظاهر المختلفة فهناك من جهة ، مجموعة الظاهرات التي تنم عن تشابك الحركات الناجمة عن الذبذبة وعن تكسر الأشعة الموزعة ، وهذا من شأنه أن يثبت أن الضوء مكون من موجات أو يدل على أن الضوء لاينبعث من الجسم المشع على صورة أشعة مستقيمة بل على هيئة تموجية بحتة ؛ ومن ناحية أخرى ، هناك ظاهرة الأثر الحاصل من الكهارب الضوئية وبعض الظاهرات الأخرى التي اكتشفها العلماء حديثا والتي تدل على أن الضوء مكون من جسيمات ومن فوتونات أو ضوئيات كما نقول في العصر الحديث

والحل الوحيد الذي يمكن أن ينقذ العلماء من هذه الورطة هو القول بأن المظهر التموجي للضوء والمظهر الجسيمي للضوء عبارة عن مظهرين متكاملين أو وجهين إضافيين لحقيقة واحدة ، وأهم فائدة يمكن أن يجنيها العلم من هذا الزعم الجديد أو من هذه التركيبة الجديدة هو الوصول إلى فهم الموجات والجسيمات بوصفهما مترابطين ترابطاً كلياً في الطبيعة أو على الأقل في حالة الضوء، ومن ثم استطعنا في العصر الحاضر أن نقيم علماً كاملا بناء على هذه النظرية وهو الميكانيكا التموجية .

وكان مشرفة واحداً من أخطر العلماء الذين اتجهوا في هذا الاتجاه وأبدعوا هذه النظرية ، ولم يتوان عن تأييد هذا المنحى الجديد بكل ماأوتي من جسارة وقدرة على التدليل وفهم لحقيقة الأمور ونشر أبحاثه هذه في نشرات الجمعية البريطانية للعلوم في عام ١٩٢٩ حيث استطاع أن يثبت أن المادة إشعاع في أصلها — وأنه من الممكن أن تنتهي بالتحليل إلى باطن المادة أو إلى صفاتها الحقيقية فيظهر لنا مافيها من طبيعة الاشعاع ويتكشف لنا من خصائصها شيء آخر غير ماتراه بالعيون ونلمسه على هيئة جامدة في حياتنا العامة .

وفي النهاية نقول إن مشرفة هو مثال الجندي الباسل الذي سقط في ميدان قلما يثابر على المضي فيه سوى الشجعان من أرباب الذكاء النادر والمقدرة الفائقة ، لقد كان يعمل بوحي من هؤلاء

صور من الحياة :

خيـــانة امرأة

٢

للاستاذ كامل محمود حبيب

يافارئى :

هذا صاحبي انضم على أشجانه حيناً من الزمان ، يكتم الأسى بين جوانحه ويدفن الشجي بين ضلوعه حتى أثقله الهم وأرهقه الوجد ، فجاء ينثر عبرات قلبه بين يديك علك تسمع إليها أنات روحه الحزينة أو تحس وجيب فؤاده الكسير ، فتلفحك حرقة اللوعة أو تهزك سفعات الضيق ، فتهديه الى الرأى الذى عزب عن فكره وتبصره بالصواب الذى ند عن عقله . فهل تعينه برأى منك فيه العقل والصواب ؟

كامل

قال لى صاحبي « ... وانطوت الأيام فاذا أنا إلى جانب فتاتى القاهرية — مرة أخرى — أبثها لواعج الهوى ، وأشكو إليها حرق الغرام : ثم مالبث أن سميت على خطبتها فتزوجتها . ووقف أبى إلى جوارى ليلة الزفاف — وقف كارهاً ، وهو ينفضني بنظرات فيها الألم والحسرة ، فاضطراب قلبي وتزعزعت سكينتى . ورحت أنظر إلى وجه أبى في خلسة وقد كسته غلالة من الهم والضيق ، فما راعنى ، إلا عبرات حائرة فى عينيه ماأستطاع أن يكفكفها ، فانفلتت من بين محجريه ... انفلتت لتهوى على كبدى كأنها جمرات متقدة يتلظى وهجها فتنفث فى الحيرة والقلق ، وتستل البشر من قلبي وتستلب الفرح من فؤادى . واستحالت حالى — فى لمحة واحدة — فبدا لى هذا المهرجان كأنه ينضم على جماعة من السفهاء يسخرون من غفلتى وحماقتى ، وتراءت لى تلك الأنوار كأنها تسطع حوالى لتكشف للناس عن غباوتى وجهلى . وخيل إلى أننى صنعت هذه البهجة الفوارة لينعم بها أخلاط من الناس ، ولأظل أنا وأبى فى منأى عنها ، يعانى هو سفعات أفكاره المضطربة وأقاسى أنا عنت الخاطرة السوداء التى أرقتها فى نفسى عبرات انفلتت غصباً من بين محجرى أبى الشيخ .

انطوى الليل إلا أقله وأنا فى شرفة الدار يضطرب خيالى بصورة أبى الباكى الحزين ، وإلى جانبي زوجتى الحبيبة أبسم لها فى ذهول وأعانقها فى فتور ؛ لا أكاد أسمع صدحات الموسيقى وهى ترن فى أرجاء المكان فتعمه بالنشوة والمرح ، ولا أطرب للصوت الملائكى الرقيق وهو يشدو بأغنية سماوية تهتز لها القلوب وتضطرب الأفئدة ، ولا أشعر بالهوى الطليل وهو يرف حوالينا نديا يبعث فى النفس النشاط والقوة ، ولا أكاد أحس بالسعادة التى كان يصبوا إليها قلبي منذ زمان بعيد وهى الآن بين يدى لاتدفعنى إليها نزعات الهوى ولا تجذبنى إليها نزوات الشباب .

وأحر كبدى إن صورة أبى ماتبرح تتشبث بخيالى ... صورة أبى وهو يتوارى فى ناحية من المكان وعلى وجهه غلالة من الهم والضيق وفى محجريه عبرات حائرة لايستطيع أن يكفكفها فتنفلت من بينهما غصباً .

ورأيت أبى لأول مرة فى حياتى — حزيناً يطحنه الأسى ويضنيه الكمد ، ولأول مرة فى حياتى أحسست بالهم العارم يتدفق فى قلبي ليمصف بمرحى ... مرح الشباب العابث الطروب .

واعجبا ! أفكان أبى الشيخ يرى بعينى تجاربه أن من تحت قدمى هاوية سحيقة أوشك أن أنزلق فأتردى فيها فلا يمكنى إلا القرار .

وفى بكرة النهار أسرعت إلى أبى عسى أن استجلى بعض

العلماء الذين تتلمذ عليهم والذين قاموا بتسخير الطاقة الذرية ... كما يقول هو نفسه فى نهاية كتابه عن الذرة ... لخدمة بلادهم ولا دافع لهم غير باعث الايمان . . الايمان بحق وطنهم عليهم وحق هذا الوطن فى أن يحيا وأن يحتفظ بمثله الاجتماعية والروحية .

كان الرجل عالماً فى غير ادعاء ، وإن بلغت نفسه أحياناً إلى حب الثورة والسخط فلأننا لم نحاول أن نعطيه من المكانة مايليق بالانسان العادى فضلا عن الانسان الممتاز ، وإذا كانت حياته قد اتصفت ببعض الاضطرابات والقلقلة فانما جاء هذا كله من التناقض بما له من حق فى أن يعيش الحياة الملائمة فى الجو العلمى الذى يطلبه وعن حقه فى الوصول الى أسمى المراتب وأعلى الدرجات .

لنا الله فى هذا الرجل العظيم .

عبد الفتاح البربرى

١٢ ٠ ٣٤

خلجات ضميره ، غير أني علمت أنه يروح الدار عند صلاة الفجر إلى ... إلى القرية ، فانكفأت إلى حجرتي ..

***

وتعاقبت الأيام تطوي وساوس نفسي وتمحو ظنون روحي وإلى جانبي زوجتي تنفذ إلى طوايا قلبي في رفق ، وتمهد لي أسباب السكينة بعقل سليم ورعي حاجات داري بيد صناع . واطمأنت خواطري إليها أجد فيها مثابة وأمناً واستشعر في كنفها الراحة والهدوء ، غير أنها لم تستطع - يوماً - أن تكشف عن الصورة التي تشبثت بخيالي حيناً من الدهر ... صورة أبي الباكي الحزين

ومرت سنتان ثم أشرقت البهجة في داري وفي قلبي حين اجتليت النور من جبين ابني الأول ، وسطعت الفرحة في روحي وفي روح زوجتي حين رفت علينا أول نسمات الطفل تملأ الحياة أملا وسعادة ودفعتني فرحتي ، فكتبت إلى أبي « ... بالأمس أشرقت في داري طلعة جديدة فامتلأ قلبي بالراحة ، وأفعم فؤادي بالسعادة ، وتألقت روحي بالفرح ؛ وإني لأرنو إليه فأرى فيه سمات من سماتك ولمحات من صورتك . ولقد عقدت العزم أن أسميه باسمك علّه يكون طالع سعد لنا . ليته يظفر بلمسات من بنانك الرقيق أو بدعوات من قلبك الطاهر فتشمله البركة ويكتنفه اليمن .. ! »

وقرأ أبي كلامي فشعر يهيىء نفسه للسفر وقد نسي أنني تمردت - يوماً - على نصيحته وامتهنت رأيه وعققت أبوته ، فجاء هو وأخوتي ومن بين أيديهم البهجة والاستبشار ومن خلفهم الهدايا .

بالقلب الأب ! إن فيك الرقة التي لا تحمل الحفيظة ، وفيك الحنان الذي لا ينطوي على الضغينة ؛ وفيك الرحمة التي لا يشوبها الغل

أما أنت يابني ، فقد كنت لأبيك بشير يمن وسعادة ، فأنت قد محوت - بابتسامة واحدة منك - كل ما كان بين أبي وبيني ، وخلقت منا - بنظرة واحدة - أباً وابناً جديدين ؛ أبا فيه العطف والحنان ! وابنا فيه الطاعة والاخلاص . فما أسعدني بك يابني !

* * *

وانطوت سبع سنوات ، ثم استحالت حال الزوجة الحبيبة على حين فجأة ، فهي تنطوي عني في غير سبب ، وتهمل شأني في غير نزاع ، وتنشغل عني في غير خصام . وتدفق الشك في قلبي هيناً مرة وعنيفاً مرة ، فما كان للمرأة أن تغير خصالها إلا أن تسيطر على عقلها فكرة أو تشغل بالها حادثة ! ورحت أدفع الشك عني حين خيل إلي أن أولادنا الأربعة يملأون فراغ قلبها وفراغ يومها

وغبرت أياماً أدفع ظن السوء عن نفسي ، غير أني رأيتها تسرف في الزينة وتفرط في الانفاق . أفكانت تسرف في الزينة - خشية أن تصفعها الشيخوخة الباكرة فتعصف بنضارتها وتعبث بروائها وهي ما تنفك تنغمر في شواغل الدار والولد والزوج ؟ أفكانت تفرط في الانفاق لتسد حاجات الدار وإن الغلاء ليصفع الوظف صفعات عنيفة قاسية توشك أن تلصق يده بالتراب ؟

ورجعت إلى الدار - ذات مرة - قبل ميعادي فلم أجدها لقد خرجت المرأة وحدها .. خرجت إلى الشارع ، إلى الذئب. ورقفت أرقب الطريق فرأيتها مقبلة تستحث الخطى . ورحت أناقشها في رفق وأجادلها في عنف فتفلتت الفتاة .. فقلت في نفسي « .. إن الفتاة إذا تفلسفت في الدار جحت بها نزوات الطيش فأنكرت وظيفتها وجحدت مكانها فتستحيل طمأنينة الزوج إلى فزع ما ينتهي ، ويحور هدوء الدار إلى ثورة ما تنقضي . إن المرأة التي تلد الفلسفة تلد الهم والأسى والضيق في نفس الرجل .. »

وارتابت نفسي في كل حركات الزوجة ، وبدا لي تاريخها القديم ، يوم أن كانت فتاة في دار أبيها تنعم بالحرية التي يزينها الشيطان وتطمئن إلى النزعات التي تزوقها الحضارة ، لا تخشى الرقيب ولا تخاف السيد ، تنفلت من الدار وحدها لتلقى فتاها أنا الذي الأصيل أو بعد مغرب الشمس ، نستمتع معاً بالخلوة ونسعد بالنزهة . أفكنت حقاً فتاها الأوحد أم كنت رفيقاً بين رفاق وصاحباً بين صحاب ، تتفلله فتوحي إليه بأشياء وأشياء وهو في عمى من خداعها ومكرها ؟ لعلها اليوم حنت إلى صاحب قديم !

ووسوس لي الشيطان أن أرقبها من بعد ، غير أني لم أستطع فما كان لي أن أفعل وأنا موظف حكومي أبكر إلى الديوان فلا أستطيع أن أبرحه إلا أن يأذن لي الرئيس ، ورئيسي رجل غليظ الكبد جافي الطبع فيه الصلف والكبر .

ومرض رئيسي - يوماً - فتفلتت رفاقي في المكتب وتسللت من الديوان .. تسللت لأجد زوجتي في داري تجلس إلى رجل غريب على سريري في حجرة نومي ..

خاتمة قازان (١)

للاستاذ عطية الشيخ

بالنارات التتار :

انتهت غزوة حمص التي شنها قازان ملك التتار على ملك مصر الناصر بن قلاوون بالفشل في ختام القرن السابع الهجري ، ولم يشف صدره من المصريين ويثأر لدماء آبائه وأجداده ، فاشتعل قلبه حقداً ، وبات يقلب الرأي ، ويستشير أمراء دولته ، عله يجد منفذاً إلى بغيته ، وينال مأربا عز نيله على سالفيه ، ويفتح مصر ويكفي التتار شرها ، ويبيت آمناً في تبريز ، حالماً باقتحام شمال إفريقية ، فيرث دولة الإسلام بتمامها ، ويختم الرواية التي بدأها جده جانكيز خان .

الرأي قبل الشجاعة :

كان قطلوشاه نائب قازان في مملكة التتار ، وأمير أمراء الجيوش ، يقف قازان عند رأيه ولا يربم عن مشورته ، وقد استشاره الملك فيمن استشار فأفتى بأن يتظاهر الملك بالإسلام ، ويطلب الصلح من المصريين والحلف معهم ، حتى إذا أمنوا جانبه ، واستلموا إلى الخديعة ، واطمأنوا إلى عدوهم ، وأهملوا استعدادهم أخذهم على غرة ، دون أن تثور الحمية الدينية في نفوس أمتهم ، متى علموا أن التتار مسلمون ، ومتى تم النصر وتمكن التتار من الرقاب ، فلن يهمهم أن تعلم مصر حقيقة إسلامهم ، فقديماً دخل التتار بغداد بالخديعة واستدرجوا الخليفة والأعيان إلى معسكرهم ، ومثلوا بهم شر تمثيل ، بعد أن حسبوا أنهم ذاهبون للصلح وحفلة عرس .

الرسل الثلاثة :

في ليلة الاثنين ٥ من ذي الحجة سنة ٧٠٠ وصل رسل قازان الثلاثة إلى القاهرة وهم قاضي الوصل كمال الدين الشافعي ومعه رجلان أحدهما فارسي والثاني تركي ، وزينت القلعة لاستقبالهم

(١) مهداة إلى أعداء الإسلام .

وأفزعني المنظر فصرخت من أعماق قلبي « آه إن المرأة المتعلمة كالثعلب تمكر بصاحبها حتى يقع في شباكها ثم لا تلبث أن تذيقه وبال غفلته وحمقه » .

وخرجت من الدار وقد ضاقت الأرض علي بما رحبت وضاقت على نفسي ؛ لا أجد متنفساً إلا أن أحمل همي بين جوانحي لا أتحدث به إلى أحد ، ومن أمامي أولادي أخاف أن أذيقهم مرارة اليتم ولذع الضياع .

والآن - ياصاحبي - ها أنا أعيش في صراع دائم لا يهدأ ولا يستقر ، أعيش بين عدوتي الخائنة ، زوجتي ، وبين أحبائي الأعزاء ، أولادي . لا أستطيع أن أقذف بعدوتي إلى عرض الشارع فأقتل السعادة والأمان في قلوب أحبائي ، ولا أستطيع أن أصبر فأراها إلى جانبي أبداً تذكرني بغباوتي وحمقي . فماذا ترى ، ياصاحبي !

وسكت الرجل وإن سمات الأسى لتضطرم في أغوار قلبه فتعبث بشبابه وتنقض من نضارته فماذا ترى ، ياقارئي ، ماذا ترى؟

كامل محمود حبيب

عطاءات بمجلس مديرية القليوبية

تقبل عطاءات بمجلس مديرية القليوبية لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٠ عن الانشاءات والترميمات اللازمة لمعاهد كفر الصهبي وطحوربا وكفر رماده وبجام وكفور عامر ومنصور ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ جنيه واحد يضاف إليه مبلغ ١٥٠ مليم أجرة البريد أما الرسومات فيمكن الاطلاع عليها بالمجلس .

وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة ثلاثين مليما

٤٠٨١

زينة تأخذ بالألباب ، وأوقد فيها ألف شمعة أحالت ليلها نهاراً ، وجلس الملك الناصر ومن حوله أمراؤه فى أبهى حلة ، وأفخر لباس ، ثم قام القاضى وخطب خطبة بليغة وجيزة وذكر آيات كثيرة فى معنى الصلح ، واتفاق كلمة المسلمين ، ثم دعا للملك الناصر ابن قلاوون ، ومن بعده للسلطان محمود قازان ، ودعا للمسلمين والأمراء ، ورفع كتاب قازان إلى ملك مصر .

كتاب غازان :

فض الملك كتاب غازان وقراه ليلاً ولم يطلع عليه الأمراء صباحاً ، إذ جمعهم مع أكثر العسكر وقرىء الكتاب عليهم ، ونقتبس من مضمونه .

« بسم الله الرحمن الرحيم » ، وننهى بعد إهداء السلام إليكم أن الله عز وجل جعلنا وإياكم أهل ملة واحدة ، وشرفنا بدين الإسلام وأيدنا ، وندبنا لإقامة مناره وسددنا، وكان بيننا وبينكم ما كان بقضاء الله وقدره . . والآن فإنا وإياكم لم نزل على كلمة الإسلام مجتمعين ، فنرجع الآن فى إصلاح الرعايا، ونجتهد وإياكم على العدل فى سائر القضايا ، فقد أنضرت بيننا وبينكم حال البلاد وسكانها ، ومنعها الخوف من القرار فى أوطانها ... ونحن نعلم أننا نُسأل عن ذلك ونحاسب عليه ، وأن الله عز وجل لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وأن جميع ما كان وما يكون فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وأنت تعلم أيها الملك الجليل ، أنى وأنت مطالبون بالحقير والجليل، وإننا مسئولون عما جناه أقل من ولدناه ، وأن مصيرنا إلى الله ، وإنا معتقدون الإسلام قولاً وعملا ونية ، عاملون بفروضه فى كل وصية ، وقد حملنا قاضى القضاة ، علامة الوقت وحجة الإسلام وبقية السلف كمال الدين أعزه الله تعالى مشافهة يعيدها على سمع الملك والعمدة عليها ، فإذا عاد من الملك جواب فليسير لنا هدية الديار المصرية ، لنعلم بإرسالها أن قد حصل منكم فى إجابتنا للصلح صدق النية، ونهدى إليكم من بلادنا ما يليق أن نهديه إليكم ، والسلام الطيب منا عليكم »

مشورة :

تشاور الملك والأمراء فيما يردون به على قازان ، ثم بدا لهم قبل أن يقطعوا برأى الاستئناس برأى القاضى الفاضل رئيس وفد قازان ، فقد كان رفيع المنزلة ، مأمون المشورة لعلمه وفضله وزهده وورعه فقالوا له : « أنت من أكابر العلماء وخيار المسلمين وتعلم ما يجب عليك من حقوق الإسلام والنصيحة للدين ونحن ما نقاتل إلا فى سبيل الله ، فإن كان هذا الأمر قد فعله قازان حيلة ودهاء فنحلف لك أننا لا نطلع على هذا القول أحداً من خلق الله تعالى ، ورغبوه غاية الرغبة ، فحلف لهم أنه لا يعلم من قازان إلا صدق النية فى الصلح ، وحقن الدماء ، ورواج التجارة ، وإصلاح الرعية ثم قال لهم (لله دره) ؛ ما كان نصحه للاسلام والمسلمين : — « والمصلحة أنكم تبقون على ما أنتم عليه من الاهتمام بعدوكم ، وأن تخرجوا كعادتكم إلى أطراف بلادكم مما يلى مملكة التتار ، فإن كان هذا الأمر خديعة كنتم مستيقظين، وإن كان الأمر صحيحاً أتممتم الصلح ، وتحقن الدماء فيما بينكم » .

مؤتمر فى صحراء الشرقية :

أمر السلطان جميع الأمراء أن يخرجوا فى صحبته للصيد فى برية الشرقية ، ثم استدعى وهو فى البرية قضاة المذاهب الأربعة ، وتم الاتفاق على ما يجيبون به قازان ، وجهز رسل التتار إلى الصالحية ، وانتظروا السلطان بها « فلما حضر وأمامه الأمراء ، ذهلت عقول الرسل مما رأوا من حسن زى عسكر الديار المصرية بخلاف زى التتار » ولما سجى الليل أوقد السلطان شموعا كثيرة ، ومشاعل عديدة وفوانيس وأشياء كثيرة تتجاوز عن الحد جعلت البرية حمراء تتلهب نوراً ونارا .. وبعد حديث ساعة أعطوا جواب الكتاب إلى الرسل ، وخلع عليهم السلطان ، وأعطى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، وسمح لهم بالسفر .

جواب مهم ألمعى :

هذا بعض ما جاء فى جواب سلطان مصر على كتاب قازان : « بسم الله الرحمن الرحيم » علمنا ما أشار الملك إليه ، وعول فى قوله وفعله عليه ، فأما قول الملك قد جمعتنا وإياكم كلمة الإسلام — فقد تحققنا أن الملك بقى عامين يجمع الجموع ، ويحتصر بالتابع والمتبوع ، وحشد وجمع من كل بلد ، واعتضد بالنصارى والكرج والأرمن ، واستنجد بكل من ركب فرساً من فصيح وألكن ، ثم إنه لما رأى أنه ليس له بجيشنا قبل فى المجال ، عاد إلى قول الزور

والمحال والخديعة والاحتيال ، وتظاهر بدين الإسلام واشتهر به في الخاص والعام ؛ والباطن بخلاف ذلك ، . . فان الذي جرى الظاهر [1] دمشق ، ليس فعل المسلمين ولا من هو متمسك بهذا الدين ، وإن كان ما حصل عن علمك ورضاك، فواخيبتك في دنياك وأخزاك ، وإن كنت كما زعمت على دين الإسلام فاقتل الطوامين [2] الذين فعلوا هذه الفعال ، لنعلم أنك على بيضاء المحجة ... ولما علمت جيوشنا أنكم استعنتم على قتلهم بعبدة الصلبان اجتمعوا وتأهبوا وحرجوا بعزمات حمدية ، وقلوب بدرية ، وجدوا السير في البلاد ، ليشفوا منكم غليل الصدور ، فما وسع جيشكم إلا الفرار ، وما كان لهم على اللقاء صبر ولا قرار ... وأما ما تحمله قاضي القضاة من الشافعية فانا سمعناه ووعيناه ، ونحن نعلم علمه ونسكه ودينه وفضله المشهور ، وزهده في دار الغرور ؛ ولكن قاضي القضاة غريب عنكم ، بعيد منكم ، لم يطلع على بواطن قضاياكم وأموركم ولا يظهر له خفي مستوركم .

وأما ما طلبه الملك من الهدية فلسنا نبخل عليه ، وإنما الواجب أن يُهدى أول من استهدى ، لتقابل هديته بأضعافها ونتحقق صدق نيته ، وإخلاص سريرته ، ونفعل ما يكون فيه رضا الله عز وجل ، ورضا رسوله في الدنيا والآخرة ... والله تعالى الموفق للصواب »

كشف عن الصريخ :

بعد نحو شهر من وصول الرسل إلى قازان، علم سلطان مصر بأن التتار بدءوا يتحركون إلى الشام ، وأن بولاي قائدهم قارب الفرات ، وبعد قليل بلغهم أن التتار حركوا نصارى آسيا الصغرى للهجوم معهم ، وكذلك استنجدوا بالفرنج فنزلوا بجزيرة أرواد تجاه طرابلس الشام ، وأخذوا يستولون على المراكب الإسلامية ، فأرسل سلطان مصر أسطولا بقيادة الأمير سيف الدين المنصوري إلى جزيرة أرواد ، وجيشاً برياً إلى بلاد آسيا الصغرى بقيادة الأمير بكتاش ، فانتصر القائدان على الفرنج والأرمن. وعلم السلطان فسر سروراً عظيما ، ثم بعد ذلك بأيام ، علموا أن قازان نفسه وصل إلى الفرات وبعث المقدمة إلى بلاد الشام بقيادة قطلوشاه وعدتها ثمانون ألفاً ، وكاتب أمراء الشام للدخول في طاعته ، فأسرعت قوة خفيفة من مصر إلى دمشق بقيادة بيبرس الجاشنكير ولم تكد تصلها حتى رأوا الناس يفرون أمام التتار من حلب وحماة وغيرها، فخفت سرية إلى حماة عدتها ألف وخمسمائة فتقابلوا مع جيش تترى قرب حلب عدته أربعة آلاف « فافترق المصريون أربع فرق ، وحاصروهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى أفنوهم »

الى دمشق :

ثارت ثائرة قطلوشاه لفناء أربعة الآلاف من جيشه فهجم على حماه ، واندفعت حاميتها المصرية أمامه لا تلوي على شيء حتى بلغت دمشق ، والتتار في إثرها « فاضطربت دمشق بأهلها ، وأخذوا في الرحيل منها على وجوههم ، واشتروا الحمار بستمائة درهم والجمل بألف ، ولم يأت الليل إلا وبوادر التتار في سائر النواحي بالمدينة ، وبات الناس في الجامع الأموي يضجون بالدعاء »

الصبح والسلطان :

طلع صباح اليوم التالي وقد وصل الجيش المصري بقيادة السلطان إلى مرج راهط من ضواحي دمشق وكذلك وصل الجيش الأصلي للتتار ، والتقى الجمعان في مكان يقال له شقحب في سفح جبل غباغب من ضواحي دمشق فوقف السلطان في القلب ومعه الخليفة والأمير سلار قائد قواد مصر ، والأمير بيبرس الجاشنكير الذي سبق السلطان بالمقدمة ، وقاد الميمنة الأمير قبجق وانضم إليها العربان ، وقاد الميسرة الأمير بكتاش الذي هزم الأرمن .

يا مجاهدون :

تقدم السلطان بنفسه والخليفة بجانبه ومعهما القراء يتلون القرآن الكريم ويحثون على الجهاد ويشوقون إلى الجنة وصاح الخليفة : « يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم ، قاتلوا عن دين نبيكم صلى الله عليه وسلم وعن حريمكم » فبكى الناس بكاء شديداً جزعاً على الإسلام ، ولم يكد يتم الخليفة كلامه حتى زحفت كراديس التتار في هجومها الخاطف كقطع الليل، وحملوا على الميمنة المصرية حملة شعواء فقتل أعيانها وولى باقيها الأدبار وفي أثرهم بولاي التتري يقتل ويأسر الفارين .

---

(١) عند ما دخلها التتار بعد واقعة حمص

(٢) القواد

ولا اسهوناه :

فلما رأى ذلك سلار قائد المسلمين وهو مع السلطان فى القلب صاح قائلاً : « هلك والله أهل الإسلام » ثم اندفع بمفرده كالبرق الخاطف نحو التتار فتبعه الأمراء والفرسان من القلب والميسرة وسلم الجميع نفوسهم للموت ، واقتحموا التتار إلى قائدهم الأعلى قطلوشاه تاركين بولاى خلفهم يطارد الميمنة المنهزمة ، واستمروا فى القتال بحمية فائقة حتى لجأ قطلوشاه بمن معه من التتار إلى الجبل وهو يؤمل أن بولاى عند عودته من مطاردة الميمنة المنهزمة سيوقع فى المصريين ، ولكن رأيه أن رأى السهل والوعر يغطيهما العساكر الإسلامية « فبهت وتحير واستمر بموضعه حتى أتاه بولاى وفرقته التى كانت تطارد الميمنة المصرية » وبينا بولاى وقطلوشاه يتشاوران فيما يفعلان إذا بكوسات السلطان والبوقات المصرية قد زحفت وأزعجت الأرض وأرجفت القلوب بحسها فلم يثبت بولاى وترك قطلوشاه وفر فى نحو عشرين ألفاً من التتار متسربلا بظلام الليل ، متلفعاً بسواده .

يا فيل الله :

وبات السلطان وعساكره على ظهور الخيل ، والطبول تدق ، وكذلك الكوسات ، حتى آب إلى الجيش على صوت الطبول من كان منهزماً من الميمنة ، وأحاط العسكر المصرى بالجبل الذى حوصر فيه التتار إحاطة السوار بالمعصم والخليفة والأمراء والسلطان والأعيان يمرون بالصفوف ويتوصون بالشهادة فى سبيل الله ، ويتحققون بأنفسهم من يقظة العسكر ، وأبعدوا أثقالهم وأوزارهم عن ميدان المعركة . وعند ما أسفر الصباح وأشرقت الأرض ، انقض التتار على المسلمين يبغون لأنفسهم منفرجا ومهربا ، ويقاتلون مستيئسين ، فضيق المصريون عليهم الخناق « وصاروا تارة يرمونهم بالسهام وتارة يواجهونهم بالرماح ، وتناوب الأمراء القيادة أميراً بعد أمير ، وأظهروا فى ذلك اليوم من الشجاعة والفروسية مالا يوصف ، حتى قتل تحت بعضهم الثلاثة الخيول ، وما زالوا كذلك حتى انتصف النهار ، فارتد التتار إلى الجبل بعد أن قتل وجرح منهم كثير ، وهم يكادون يهلكون عطشاً » ، ثم علم السلطان أن التتار قد أجمعوا أمرهم على مهاجمة المصريين فى السحر ، ليفتحوا لأنفسهم طريقاً إلى النهر ، فأوصى بأن يفرج لهم عند النزول ثم يركب الجيش أقفيتهم ويهاجمونهم من الخلف ، ونزل التتار من الجبل فى عماية الصباح ، فلم يتعرض لهم أحد ، ولما صار النهر أمامهم والمصريون خلفهم ركبهم بلاء الله من المصريين فحصدوا رءوس التتار عن أبدانهم ، وطاردوهم ولم يضعوا عنهم السيف حتى أذن العصر « حتى كلت خيول التتار وضعفت نفوسهم ، وألقوا أسلحتهم ، واستسلموا للقتل بغير مدافعة ، حتى إن أراذل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وغنموا عدة غنائم ، وبلغ ما قتله الواحد من المصريين العشرين من التتار فما فوقها » وارتد قطلوشاه فى قليل من جنوده إلى الفرات ، ثم عاد إلى بلاده فى شر حال .

أفراح وأتراح :

أما سلطان مصر فقد كتب البشائر فى البطائق وسرح بها الحمام إلى جميع بلاد الإســـلام وأرسل الأمير بكتوت ليبشر المصريين نائباً عنه ، وأقبل أهل الشام عليه مهنئين ، فقصد إلى دمشق فى عالم عظيم من الفرسان والأعيان والعامة والنساء والصبيان ، وهم يضجون بالدعاء والهناء والشكر لله سبحانه على هذه المنة ، « وتساقطت عبرات الناس فرحاً » ثم حضر أمير الميمنة المنهزم فقال له السلطان « بأى وجه تدخل علىّ وتنظر فى وجهى ! فما زال به الأمراء حتى رضى عنه »

وأما التتار فإنه لما دخل قطلوشاه إلى همذان وعلم التتار نبأ الهزيمة « وقعت الصرخات فى بلادهم وقامت النياحة فى تبريز عاصمتهم شهرين على القتلى ، واغتم قازان غماً عظيما ، وخرج الدم من منخريه حتى أشفى على الموت ، واحتجب عن الحاشية ، فإنه لم يصل إليه من جيشه إلا أقل من العشر ، مع أنه كان منتخباً من خيار العساكر ، ثم أمر بقتل قطلوشاه . ولما شفع فيه أمراء التتار ، أوقفه أمامه ، واستدعى الأعيان وأمرهم أن يبصقوا فى وجهه واحداً بعد واحد حتى بصقوا جميعاً على مشهد من قازان ، ثم نفاه إلى كيلان ، ثم أحضر بولاى وضربه بالعصا وأهانه أشد إهانة ، وفى الجملة حصل لقازان بهذه الكسرة من القهر والغم مالا مزيد عليه ، ولله الحمد »

أقواس النصر :

زينت القاهرة لاستقبال الناصر وعساكره وحشد بها جميع

المقنبين بالديار المصرية وتسابق الناس فى الزينة ونصبوا القلاع فى شوارع القاهرة « وتحسن سمر الخشب والقصب وآلات النجارة وتنادى الناس أن من استعمل سانعاً فى غير الزينة فهو عدو السلطان . وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرجة ، وملئت الأحواض فى الشوارع بالسكر والليمون وبلغ كراء البيت الذى يمر عليه السلطان من خمسين درهماً إلى مائة ، وفرشت أرض الشوارع التى سيمر فيها السلطان بالأبسطة ، وكان السلطان كلما مر بزينة وقف يعاينها ليجبر خاطر فاعلها » وسار أسرى أمراء التتار بين يديه مقيدين ، وقد علق فى عنق كل واحد منهم رأس أمير من القتلى وأمامهم ألف فارس مصرى مشرعين رماحهم فى كل رمح منها رأس تترى ، وخلفهم ١٦٠٠ أسير من جنود التتار ، فى عنق كل واحد منهم رأس ، وطبولهم ممزقة ، وأعلامهم منكسة ، وكثرت التهانى فى البيوت والشوارع وزاد الهرج والمرج وأهازيج الفرح والسرور « حتى كان الواحد لايسمع كلام من هو بجانبه إلا بعد جهد » .

النصر للإسلام :

ذوى عود قازان ، وتصوحت زهرته ، وتنكرت بشاشته ، وغاضت نضارته ، واستولى عليه الهم والغم ، وألح عليه المرض بسبب الهزيمة ، فلم يلبث إلا أياما حتى مات مهموما ، وجلس بعده على عرش التتار أخوه « خربندا » بن أرغون بن أيغابن هولاكو خان واجتمع به أعيان ملكه ، وتشاوروا فيما يؤمنهم على ملكهم ويهدىء مخاوفهم ، ويحقن عليهم دماءهم ؛ فلم يجدوا أحسن من الدخول فى الإسلام أفواجاً ، وأن يعلنوا المصريين بذلك ، إذ لم يبق حامياً لديار الإسلام سواهم ، فتم لهم ما أرادوا وتلقب ملكهم « غياث الدين محمدا » وكتب إلى سلطان مصر بذلك ، وطلب الصلح وإخماد الفتنة ، وانحسرت موجة التتار عن مصر والشام ، وانكسر عودهم على عزة الإسلام ، وامتصتهم الديانة المحمدية دون أن ينالوا منها ، وتطعمت دوحة الاسلام بشعب جديد فتى قوى كان له بعد ذلك اليد الطولى فى نصرة الدين .

« وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً » .

عطيه الشيخ

مفتش المعارف بالمنيا

مسابقة الفلسفة للطلاب السنة التوجيهية (٥) :

(٢) مناهج الادلة لابن رشد

للأستاذ كمال دسوقى

مازلنا هنا فى ابن رشد لم نفارق أرسطو ، فابن رشد صورة من أرسطو ، أو قل : هو الصورة الاسلامية لأرسطو . وكم ذا لأرسطا ليس فى فلسفات العصر الوسيط من صورا فان الفيلسوف الذى أتينا على دراسة فصل من علم واحد من مذهبه فى مقالاتنا السابقة قد كان ماردا جباراً جثم بسطوته وسلطانه على الفكر الانسانى حتى مطلع عصر النهضة الأوربية الحديثة : عكف الشراح على مذهبه يدرسونه ويفسرونه ويصنفون كتبه ، وأقبل عليه رجال الدين والمفكرون من مسيحيين ومسلمين ويهود يؤيدون به عقائدهم ، فنشأت الفلسفات المسيحية الاسلامية واليهودية على الترتيب . وبقدر ما كان أرسطو يبدو لرجال هذه الأديان لأول وهلة ماديا وملحداً تحرم دراسة فلسفته ، لايلبث هؤلاء الجامدون المتزمتون أن ينبذوا الجبال الأفلاطونى إلى مافى مذهب أرسطو من منطق وانسجام وتوافق ، فيحل أرسطو من التفكير إذن أرفع محل .

وهكذا ترى أن أفلاطون وأرسطو كانا قطبى التفكير فى كل فلسفة دينية ؛ وأن مثالية هذا وروحيته ، ثم واقعية ذاك وماديته ، كانت بمثابة قرنى الإحراج لايذهب المفكرون إلى أحدهما إلا ليرتدوا إلى الآخر . ولن تجد بين مفكرى العصور الوسطى وفلاسفة الأديان إلا من هو أفلاطونى أو أرسطى أو موفق بين الاثنين ويتفاوت فهم رجال العصور الوسطى لفلسفة كلا الرجلين ومدى نفوذهم الى حقيقتها . وكثيراً ماأدخل الاسلاميون عناصر غريبة على فلسفة أحدهما أو الآخر ، أو أساءوا له ونسبوا إليه ظلم يقل به ولكن ابن رشد يمتاز من بين الاسلاميين جميعاً بأنه خير من فهم أرسطو وشرحه ونقله إلى الغرب حتى ليسمونه الشارح الأعظم magnus commentator لأنه هو الذى لعب أخطر دور فى ربط الثقافة الانسانية وإكمال دائرة الفكر البشرى برد التراث اليونانى إلى أوربا الوسطى .

قبيل نهضتها ؛ فان شروحه لكتب أرسطو قد نقلت إلى اللاتينية وهي حينئذ لغة العلم والجامعات . وتولى نشرها ودراستها وإذاعتها خصوصاً فلاسفة اليهود .

وتعلمون أن الفلسفة إذ نشأت في بلاد اليونان بمعناها الحقيق ، وما كانت تشتمل عليه بلاد اليونان إذ ذاك من أوضاع جغرافية واسعة تشمل هذا الجانب من البحر المتوسط كله تقريباً قد ورثها الشرق المسيحي بعد إذ استقرت الديانة المسيحية، فالشرق الاسلامي بعد إذ اتسعت رقعة الحضارة الاسلامية . وتعلمون كذلك أن رقي الفلسفة في كل من الشرقين إنما كان صدى للتوسع الجغرافي والرقي الحضاري ، وما يتبع ذلك من تشجيع للعلم والثقافة وحث على ترجمة التراث اليوناني بما اشتمل عليه من حكمة وطب وفن وفلسفة ، فكانت الفلسفة تخصب وتزهر حيث توجد البيئة الصالحة للنمو والازدهار ، وحيث يكون التشجيع والمثوبة من جانب ذوي السلطان ، فاذا أصاب هؤلاء تقهم التفكير وضيق الأفق وحمل سخطهم على الفلسفة وايذاؤهم للفلاسفة ، كان على الفلسفة إذن أن تهاجر وتنزح . وكما أن الدولة الأموية العربية حين غلبها العباسيون وشتتوا أصحابها قد هاجرت إلى الأندلس ، كذلك كانت هجرة روحية أخرى للفلسفة الاسلامية أثر اضطهادها وتكفير أصحابها في الشرق العربي، وعلى أنقاض حضارة المشرق الثقافية إذن قامت حضارة أدبية وسياسية وفلسفية في المغرب ، وبمعنى أدق في الأندلس ، هي ، مهما يكن من أمرها صورة مصغرة من حضارة الشرق ، ولكنها متشابهة من ناحية وبسمات وخصائص مميزة من ناحية أخرى

كانت متشابهة من حيث أنها قد اعتمدت في أساسها على ما كان ينقل أهل تلك البلاد من علوم الشرق سواء بالرحلة إليه والتعلم على أشهر علمائه وبجمع تراثه ونقله ونسخه ثم الشروع في التفلسف بعد مرحلة التمهيد والدرس هذه . وآية ذلك تدرج فلاسفة الغرب في تقديرهم لأرسطو متأخرين كما يمثلهم ابن باجة فابن طفيل فابن رشد ، كتدرج فلاسفة الشرق الكندي والفارابي وابن سينا ، إلا أنه يجب أن نقول إن ابن رشد كان أكثر فلاسفة المشرق والمغرب معرفة بأرسطو وفهماً وتقديراً له ، وذلك لأن البيئة الأندلسية قد خلت من خلافات الشرق وجدله وعقمه كما يظهر في أشعاره وموشحاته ذاتها في ميزان الأدب ، فجاءت فلسفة ابن رشد أرسطاطالية خالصة من ناحية ، ودينية عقلية من ناحية أخرى ، وذلك هو الجانب المزدوج الذي يجب أن تنظروا لابن رشد من خلاله ، فهو من ناحية ينشر ويلخص ويشرح الكثير من كتب أرسطو والفلاسفة المشائين من أتباعه وغيرهم من الاطباء والمتكلمين . . . الخ كما تجدون في ثبت كتبه التي ورد ذكرها بمقدمة كتابه الذي تدرسونه ، ومن ناحية أخرى، يكتب في علم التوحيد والعقائد ؛ أو ما يسميه فلاسفة المسلمين علم الكلام ، رسائل وكتباً كهذا الكتاب الذي تدرسونه .

على أن التقدير الذي يحظى به ابن رشد لدى مؤرخي الفلسفة الغربيين ربما كان أكثر منه عند مؤرخينا . فهم ينظرون إليه كما قلت بوصفه همزة الوصل ونقطة التحول التي عن طريقها تم انتقال الفلسفة إلى أوربا ثانية على يد فلاسفة المسلمين . واليهود ولعله بهذا وحده يمكن أن يكون للفلسفة الاسلامية مكانها بوصفها حلقة ضرورية في تاريخ الفلسفة المتصل ، وللعرب شأنهم بوصفهم حملة هذه المشاعل ونقله هذا التراث ، والأمناء على نتاج هذا الفكر الانساني أخذوه عن مصادره الأولى وتعهدوه بالتخير والانتاج حتى أوصلوه إلى أهله كاملا غير منقوص ، وحسب الفلسفة من فلسفات العصر الوسيط أن تقوم بهذا الدور ، فان بعضها لم يبلغه — لكي تعد ذات رسالة ، والفضل هنا إذن لابن رشد .

لقد كتب اثنان من كبار الفلاسفة الفرنسيين المستشرقين كتابين هامين كبيرين في ابن رشد (وهم يسمونه averroms ويجعلون له مذهباً يسمونه averroms أحدهما ليون جوتليه — والآخر إرنست رينـــان تناوله موتك في كتابه عن افلاسفة اليهود والعرب ، والبارون كارادي فو في كتابه مفكرو الاسلام وإن لم يفرد له كتاباً خاصاً فيما بعد كما فعل بالغزالي وابن سينا ، وكذلك الفيلسوف الهولندي دي بورق تاريخـــه لفلسفة الاسلام - وفي هذه المراجع وكتابات كثيرين من المستشرقين الالمان خصوصاً ودوائر المعارف الاسلامية وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان وغيرها نلمس التقدير الكبير الذي يتمتع به ابن رشد عند هؤلاء المؤرخين والمنصفين مبلغهم من العلم به وبفلسفته ضئيل

ومن هذه المؤلفات ماهو مترجم إلى العربية نستطيع أن نرجع إليه كـكتاب العلامة دى بور المشار اليه ، ترجمة الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة مدرس الفلسفة الاسلامية فى كلية الآداب ترجمة علمية دقيقة مزودة بالتعليقات والمراجع كذلك تجدون مادة ابن رشد فى إحدى مجلدات دائرة المعارف الاسلامية التى ظهرت ترجمتها العربية فعلا للاستاذ عبد الحميد يونس وزملائه الثلاثة .

أما المؤلفات العربية فى ابن رشد فأهمها : كتاب فى مجموعة أعلام الإسلام (العدد ١١ فبراير ١٩٤٥) التى تنشرها لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية السابقة الذكر عند عيسى الحلبى — هذا الـكتاب هو : أبن رشد الفيلسوف للاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية أصول الدين بالأزهر ، وهو على سهولته وتبسيطه كتاب واف بحياة الفيلسوف وعصره ومذهبه ، ولا بد أن ترجعوا إليه وتعولوا على ماجاء فيه من دراسة عى مزيج مهضوم فى عقل صاحبه من مختلف الآراء العربية والغربية لابن رشد ومذهبه . ففيه مادة صالحة طيبة . ارجعوا كذلك إلى كتاب قديم للاستاذ فرح أنطون عن ، ابن رشد ومذهبه . ففيه مادة صالحة طيبة وافية بالغرض ، وكذلك باب ابن رشد من كتاب فلاسفة الاسلام للاستاذ محمد لطفى جمعه الحامى .

سوف يعفيكم الـكتاب المطلوب إليـكم دراسته من تعرف ابن رشد فى دوره الأهم الذى أتحدث عنه حتى الآن ؛ وكما يفهمه المؤرخون الأوربيون ، لأنه يعالج فلسفة إسلامية خالصة موضوعها التوحيد أو علم الـكلام ، وهو ما كان ابن رشد يصطنعه للرد على الغزالى وأضرابه ممن كفروا فلاسفة المشرق كابن سينا فى قولهم بأن الله يعلم الـكليـات دون الجزئيات وغير ذلك من المسائل الدينية التى كانت محل خلاف . ومن هذه الردود ماجعله ابن رشد مباشرا يتناول فيه قول الخصم ثم يتولى إدحاضه ككتاب تهافت التهافت الذى رد فيه على « تهافت الفلاسفة » للغزالى ، ومنهـا ماهو غير مباشر تظهر فيه براعة ابن رشد فى عرض عقائد الملة وأمور الدين عرضاً لاتتنافى فيه الفلسفة والدين كهذا الـكتاب .

وفى عنوانات هذه الـكتب ذاتها دليل على مانريد أن نبين من طبيعتها . ففى المجموعة التى بين أيديكم كتابان : فصل المقال فيما بين الحـكمة والشريعة من الاتصال — وهو كتاب قيم له أهميته ودلالته من حيث مايعرض له — وهو كفيل بأن يرد إلى الصواب أولئك الذين يخشون تعارض الفلسفة والدين . إذ هو يقنعهم أن لاتعارض ، بل محبة وتقارب . ولا يخرج القارىء منه إلا وقد آمن أن الفلسفة فرض واجب كبقية الفروض . فرض عين لا فرض كفاية . والـكتاب الثانى فى « الـكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة » . وفيه يعرض الفيلسوف وقد بين من أمر توافق الفلسفة والدين فى الـكتاب السابق مابين — يعرض لمناقشة مختلف المنـاهج التى بها تقوم الأدلة méthodes الصحيحة على كثير من عقائدنا الدينيـة الإسلامية كوجود الله وتوحيده وبقية صفاته الثبوتية والسلبية : تلك التى تنسب له صفات إيجابية كالعلم والقدرة والسمع والبصر والـكلام ، والتى تنفى عنه صفات سلبية كالجهل والعجز والصمم والعمى والبكم ... ثم مشكلة ارسال الرسل أو النبوة والتدليل على معقوليتها ؛ وأخيراً مشكلة العالم الآخر التى تقول بها الأديان .

وقبل أن نشرع منذ المقال التالى فى تحليل هذا الـكتاب لابن رشد ، أريدك أن تلم بتاريخ حياته إلماما كافيا ، تعرف منه تاريخ مولده ووفاته والقرن الذى عاش فيه من التاريخين الهجرى والميلادى ، ثم مكانة قرطبة التى ولد فيها وتفلسف وما تقلبت فيه من عزوذل والتاريخ العام لدولة الأندلس وما تعاقب عليها من الحـكام — منذ فتحها عبد الرحمن الداخل الأموى (٣٨ هـ) — من أمـويين فرابطين فموحدين — وخصائص كل عصر من حيث الاهتمام بالعلم وتشجيع الأدب والفلسفة — وأخيرا حيـاة الفيلسوف ونشأته ودراسته ومصنفاته والجانب المزدوج فى مهمته الفلسفية الذى عرض فيه للحكمة الأرسطية والشريعة الاسلامية فأحسن التوفيق بينهما ،

وإلى الملتقى فى حديثنا التالى .

كمال دسوقى

كتاب أحلام فى التربية

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

قرأت هذا الكتاب منذ أسبوعين ، وقد وضعه مؤلفه مستر بورتز منذ حوالى عشرين سنة، وقدمه الدوز هكسلى حفيد هكسلى العظيم ، فرأيت أن ألخصه لقراء الرسالة الغراء .

الكتاب طريف الموضوع ، شائق ، سهل الأسلوب إلى حد بعيد ، يجعل القارىء المتوسط الذى لم ينل حظاً كبيراً من علوم الفلسفة والتربية ، يقبل على قراءته بشغف ولذة ، وذلك لأنه أقرب إلى القصص والأساطير منه إلى كتب التربية والتعليم . ومما يساعد على فهمه ويغرى بقراءته سهولة تعبيره واتساع أفق الخيال فيه وما فيه من طرائف جديدة ، وقد ألبس المؤلف الجد ثوب الهزل فجعله قريباً إلى الأذهان سهل المطالعة للكثيرين .

إن الكاتب يحس كما يحس الكثيرون منا ، أننا ندور فى حلقة مفرغة إذ لا ندرى لماذا نبعث بأبنائنا إلى المدارس وإن كنا نبعث بهم على أى حال ، وذلك لأن المدارس التى جعلت لإعدادهم للحياة السعيدة ، هى فى الواقع كثيراً ما تجنى عليهم بفساد أنظمتها التى تذهب بكثير من استعداداتهم وتبر ملكاتهم وضياع مواهبهم ، لأن الحياة فيها جحيم وقوده أطفالنا الأبرياء .

إن المؤلف يرى أن النظام المدرسى وجد على أنه أداة لحياة صالحة سعيدة ، ولكن الآية انعكست وصارت مفسدة لكثير من الأطفال . والعجيب أننا لا ندرى ماذا نفعل لننقذ أطفالنا من هذه المأساة التى تمثل أمام أعيننا ونشاهد فصولها تعرض علينا ونحن مكتوفو الأيدى . هذا ما يدركه من يقرأ الكتاب قراءة بحث ودرس .

أما موضوع الكتاب فقد تخيل الكاتب ، أن مؤتمراً للتربية والتعليم عقد فى بقعة من الأرض ، ودعى إليه كثير من سكان الكواكب السيارة المختلفة وقد أرسل كل كوكب مندوبه إلى هذا المؤتمر من أساتذة وشيوخ وسيدات ومن مخلوقات أخرى لا شبيه لها ولم ترها أعيننا، منها الذكر والأنثى، ومنها ما هو خليط بين الاثنين ، وقد انتظم هؤلاء جميعاً غرض واحد هو بحث مناهج التعليم والمقارنة بينها فى مختلف الأنحاء ، وتعديل ما يحتاج إلى تعديل لتأتى بالغرض المنشود الذى يسعى إليه العالم أجمع .

ولما افتتح المؤتمر أسندت رئاسته إلى مخلوق أرضى ، فرحب بالأعضاء ، ثم أتى بموجز لتاريخ التعليم فقال :

إنه عرف فى أول أمره على أنه أداة لتعليم مواد ثلاث : هى القراءة والكتابة والحساب ، وهذا غرض متواضع لا يتفق مع جلال التربية والتعليم ، إذ الأحرى بمثل هذا الغرض أن تكون أداته أقل قيمة من التربية والتعليم . فاذا كانت التربية والتعليم لا غرض لهما سوى أن يكونا أداة لتعليم هذه المواد الثلاث فما أقل شأنهما وأسوأ حظهما ، ثم قال :

إن الغرض من التعليم أجل وأشرف من هذا بكثير ، والذى يجب أن يهدف إليه التعليم هو : الفلسفة وعلم النفس والسياسة وعلم وظائف الأعضاء ، لأن هذه الأشياء هى أساس حياة الإنسان وسعادته ، فعلى مقدار فهمه لها ومعرفة دقائقها تتوقف سعادته فى حياته ويكون نفعه للانسانية ، فيجب ألا تكون حياة الإنسان هباء فى هباء ، لأنه لا يستطيع أن يتصل بالآخرين اتصالاً وثيقاً وأن يحيا حياة فياضة بالمعانى السامية والغايات النبيلة إلا إذا فهم الجماعة الإنسانية ، والأحوال الاجتماعية فهما صحيحاً ، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان له قسط وافر من هذه العلوم التى يجب أن تكون الغرض من التعليم .

ولكن هذا لم يرق مندوب (المريخ) فاعترض قائلا : ماهى الفلسفة وما هو علم النفس وما هى الفائدة المرجوة منهما حتى يكونا الغرض من التعليم ؟

ولكنى أرى أن التعليم والتربية، أسمى من أن يكونا أداة لمثل هذه المواد ، بل يجب أن يوضع التعليم للوطنية والأخلاق ، إذ أنهما أساس الحياة . ويصر مندوب المريخ على أن يكون عملياً فى كل شىء يقرره ، فتراه يرفض تدريس الجغرافية مثلا ، لأن المدارس تدرس الجغرافية من أول نشأتها ولم تعد على العالم بشىء إنه يريد أن يستقصى الأمر بطريقة علمية أكثر من ذلك فائدة وأدوم ثباتاً ، حتى أنه قال . لماذا ندرس الجغرافية ! وماذا يضيرنا لو لم ندرسها ؟ وغير ذلك من مثل هذا التساؤل عن كثير من المواد الدراسية .

أما مندوب (المشترى) فانه يعقد مقارنة بين تربية الأطفال وبين الصناعات الأخرى من حيث قدرة الأطفال والنوع الذى يناسبهم من التعليم ، فقال . لقد أصبح العلم متدخلا فى جميع مشروعاتنا وأعمالنا ، بمعنى أننا لا نقدم على عمل ولا نخطو خطوة فى حياتنا مالم يكن العلم رائدنا ومرشدنا ، ففى مصنع الأحذية مثلا نختبر الجلود ونبحثها بالطرق العلمية لنعرف مصادرها ولنرى من أى نوع هى ، وهل هى من النوع الخشن أو الجيد ؟ وهل كانت الحيوانات التى أخذت منها هزيلة أم سمينة ؟ وغير ذلك .

فلماذا لانتبع هذه الطريقة مع أطفالنا فنبحث بيئاتهم وعائلاتهم ونستقصى تاريخهم ونتتبع منشأهم لنرى هل من المتيسر لهم أن ينموا نموا طبيعيا أم هم معرضون للامراض المختلفه من جسميه واجتماعية وخلقية . إن المدرسة صنو للمصنع سواء بسواء ، فمصنع الأحذية مثلا يبدأ بالجلود وينتهى به المطاف إلى الاحذية الكاملة المتقنة ، وكذلك المدرسة فانها تبدأ بالطفل الصغير وتنتهى بالرجل الناضج الكامل العقل والتفكير . فالواجب علينا أننا مادمنا نستخدم مختلف العلوم فى الصناعات ، أن نفعل مع الاطفال مثل هذا حتى نأتى بالثمرة المرجوة ... ثم قال :

مما جعلنى استلقى على قفاى من الضحك ، أنه فى أثناء عبورى من المشترى إلى هنا ، كنت أتسلى بقراءة شىء عن نظم التعليم سابقا ، فاستوقف نظرى مايسمونه نظام البكالوريا ، وأن هذه الشهادة تعتبر جواز المرور لحاملها . يالسخافة ! أيجعلون الشهادات مقياسا لكفايات المتعلمين والرجال المفكرين ، إن وباء الحمى القرمزية لم يكن أكثر شرا من ذلك النظام الفاسد فى تلك العصور المظلمة والعوالم المتأخرة .

إنه لابد لكل طالب فى عالمنا (المشترى) من فرصة يسيح فيها عاما كاملا ليرى الشعوب الأخرى ويشاهد أخلاقها ويطلع على أنظمتها ويختبر طرق حياتها ، وثقافة الانسان عندنا لاتتم إلا إذا أقام بهذه السياحة واستفاد منها وعمل بما رأى فيها من خير وتجنب فيها من شر .

ثم تكلم مندوب الزهرة وأبدى عجبه من اهتمامنا باعداد المواد واهمالنا الطفل الذى يجب أن يكون الاهتمام به هو قبل كل شىء فقال .

إن محور التعليم عندنا ليس المواد المختلفة كالجبر والهندسه واللغات وغيرها ، ولكن المحور الحقيقى الذى نوليه كل عنايتنا هو الطفل نفسه ، فلا يهمنا أن تذهب هذه العلوم إلى حيث شاءت ولكن ليبقى لنا الطفل . إن هذه المواد جميعا قد وجدت من أجل الطفل ، ولم يوجد الطفل لها ... ثم قال

لقد كان الباحثون فى التربية قديما ، يجعلون الطفل فى المنزلة الثانية بعد المواد ، وما ذلك إلا لضيق تفكيرهم ، حتى أن العلم الذى كان يبدى اهتماما ظاهرا بالاطفال لايساوى فى نظرهم شيئا . أما اليوم فاننا يجب أن نجعل الطفل فى المرتبة الأولى وأن نوليه كل عنايتنا .

ثم ذكر حقيقة قد أغفلناها نحن وطال إغفالنا لها حتى كدنا ننساها كل النسيان ، وذلك أننا نحمل الطفل من الدروس أكثر مما يطيق ، ونعطيه من المواد فوق مايحتمل ، فاذا عجز عن تحملها أضفنا إليه أعمالا أخرى فنأتى له بالمدرسين الخصوصيين ونحبسه مع كتبه فى حجرة بعيدة عن الآخرين ، ونضطره إلى البقاء حبيسا حتى تعتل صحته البدنية وتختل قواه العقلية وتفسد أخلاقه ، وربما أدى به الحال إلى السير فى طريق الفساد والاجرام دون أن يبلغ ماحبس من أجله وهو الشهادة المرجوة والنجاح المأمول .

إن الشهادة ليست بذات قيمة كبيرة ولا تستحق منا هذا الاهتمام الذى يجعلنا نسلب أولادنا صحة أبدانهم ونفقدهم عقولهم ولو كان هذا من أجل علوم الدنيا مجتمعة .

وقد قال المندوب : إننا لم نترك حجرا على حجر فى هذه الناحية الا قلبناه ونقبنا حوله ، حتى أصبحنا نؤمن ايمانا كاملا بأن انما النفس والروح لايتم إلا على انعما الجسم — والمثل يقول العقل السليم فى الجسم السليم — ويقول : أطعم الجسم العارى هواء نقيا وشمسا مشرقة ، تكن بذلك قد غذيت الروح وطهرتها من الشوائب ، أما لو أهملت الجسم فانك تقتل الروح وتفسدها .

ثم عرض المؤلف لكثير من أراء مندوبى كثير من الكواكب التى تخيلها قد حضرت المؤتمر لهذا الغرض النبيل ، لأدامى لذكرها هنا حيث أن كل المناقشات كانت تنصب على هذه الأغراض المهمة .

والحق إن واضع الكتاب استطاع أن يصوغ آراءه الجديدة في صور هزلية واستطاع أن يضحك من نظم التعليم الفاسدة في غير تعرض لأحد أو مساس بأي دولة .

• • •

هذا كلام قيل عشرين سنة وقد ظهر فساده ولكننا نحن في مصر لازلنا متمسكين به رغم أعترافنا بفساده وعدم ملاءمته للطرق التربوية الحديثة : فمتى ياترى نقلع عن هذه الأخطاء ونصلح هذه المفاسد التي تضيع كثيرا من المواهب وتقبر كثيرا من العبقريات إننا نتوجه إلى القائمين بأعمال التربية والتعليم وعلى رأسهم عميد الأدب التربي الكبير معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف أن يعيدوا النظر في برامج التعليم على ضوء النظريات الحديثة ، والله ولي التوفيق .

عبد الموجود عبد الحافظ

أسيوط

في محراب الاشواق . !

هذا مكانك ؛ ههنا محراب اشواق وحبي
كم جئته والدمع ، دمع الشوق ، يختلج بهدبي
كم جئته والذكريات تفيض من روحي وقلبي
يسدلن حولي ظلمة ويثقلن بكل درب

• • •

هذا مكانك ، كم أتيت إلى مكانك موهنا
تمضي بي الساعات ، لاأدري بها ... وأنا هنا
روح اصاخ لمتعة الذكرى ، وللماضي رنا
يتنسم الجو الحبيب ، ويستعيد رؤى المنى !

• • •

هذا مكانك ، مثل روحي ، فيه احساس كئيب
متحسر ... يصبو إلى الماضي ، إلى الأمس الحبيب
متسائل عن شاعرين ، هواهما حلم غريب ! .
كم رنما بالشعر جوهما ، فناض جوى مذيب

• • •

هذا مكانك ، اين انت ؟ وأين أطياف الفتون ؟
القصد الخالي يحن اليك مرفقه الحنون ...
أسوان ، يرمقني ، وقد أهويت أنشج في سكون
وبرابي المهرة الثيران ، أهذر في جنون

• • •

ذنبي الذي قد هاج ثورة قلبك المترفع
كفرت عنه بأدمعي ، بتنهدي ، بتوجعي
كفرت عنه بما ترى من ذلتي وتخشعي
ويخفض قمة كبريائي الشامخ المتمنع !

• • •

ذنبي ؟ وما ذنبي ؟ ألا ويلاه من ظلم القيود !
ماحيلتي والغل في عنقي على حبل الوريد !
اواه ! حتى انت لم تنصف هوى قلبي الشهيد ؟ !
أواه ؟ حتى أنت تظلمني مع القدر العنيد ! ؟

• • •

قلبي يئن ، يلوب في ألم ؛ يسائل في شرود :
لم لايعود ، فلا يجيب سوى صدى (لم لايعود)
وأروح ، في شفتي أشعار ، وفي كفي عود
وأعاتب الأيام ، والزمن المفرق ، والوجود ! ...

• • •

لم لاتعود ؟ أنا هنا وحدي بهيكل ذكرياتي
وحدي ، ولكني أحسك في دمي ، في عاطفاتي
اصغي لصوتك ، للصدى المغنوم في أعوار ذاتي
وأراك من حولي ، وفي ، وملء آفاق الحياة !

قروي

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

استقبال تيمور بالمجمع اللغوي

كان يوم الخميس الماضي موعد الجلسة العلنية التي عقدها مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية لاستقبال الأستاذ محمود تيمور بك بعد انتخابه وصدور المرسوم الملكي بتعيينه عضواً عاملا بالمجمع خلفاً للمستشرق الألماني المرحوم الدكتور أوجست فيشر، وكانت كلمة الاستقبال لمالي الدكتور طه حسين بك، وقد تحدث فيها عن تاريخ الأسرة التيمورية ومكانة أفرادها وآثارهم في العلم والأدب والفن، ولما خلص إلى الحديث عن الاستاذ محمود بك قال يخاطبه: ولعلك تذكر وإني أذكرك إن كنت نسيت حديثاً ألقيته في بعض مؤتمرات المستشرقين وكنت تخلص فيه للدفاع عن العامية ولم تكن تقدر أنك ستكون مجمعياً يوما ولم تقدر أن العربية أقوى منك كما كانت أقوى من كثيرين، لا من الأفراد بل من الشعوب، ولم تكن تقدر أنك ستضطر يوماً أن تكون من حماة العربية الفصحى التي كنت تؤثر عليها العامية في بعض أوقاتك ثم نرى تغلب هذه العربية عليك يزداد شيئاً فشيئاً، وإذا هي تلتهمك التهاماً، وإذا هي تقهرك على ما تريد هي لا ما كنت تريد أنت، وإذا أنت لا تستطيع إلا أن تكرهها في شيء واحد هو خير ما تحب لها وهو خير ما تحب لنفسها تكرهها على أن تتلقى من المعاني والخواطر الرائعة ما لم تألفه من قبل، وإذا أنت من المرنين لها أحسن تمرين

وقال: وأنت كاتب حلو النفس عذب الروح خفيف الظل لا تثقل على قارئك مهما تطل عشرته، وأذكر أني تلقيت بباريس كتابك «سلوى في مهب الريح» فترددت في قراءته وآثرت أن أقرأ ما أقرأ من الأدب الفرنسي ولا سيما حينما أكون في فرنسا ولكني لا أستطيع أن أرد نفسي عن قراءة آثارك؛ فأخذت نفسي بقراءة صحف منه بين حين وحين على ألا يصرفني عما أنا فيه من قراءة، وأقسم أني ما بدأتها حتى أعرضت عن كل ما سواه ومضيت في القراءة حتى إني لم أقطعها القراءة إلا حين لم يكن من قطعها بد.

وأفاض الدكتور طه حسين بك في تحليل أدب تيمور، ووصفه بأنه أديب عالمي ليس أدبه مقصوراً على مصر وحدها ولا على الشرق العربي وحده وإنما هو أدب امتد إلى الغرب إذ ترجم كثير منه إلى اللغات الأجنبية الحية. ثم قال: أتفهم الآن لماذا سعى إليك المجمع سعياً رفيقاً كما يسعى إلى شيء ذي خطر لا يسهل الوصول إليه، بدأ فقدر آثارك الأدبية وأجازها ونوه بها، ثم استأني بك لأنه يعرف من تواضعك وهدوئك وإيثارك لما ورثت عن أسرتك من حب العزلة والانزواء، استأنى حتى تسيغ هذا التقدير وتطمئن إليه، استأني بك سنة أو سنتين، فلما عرف أنك تلقيت هذه الصدمة وصبرت لها واحتملتها ثم تغلبت عن تقديره إياك فسافرت وكتبت وأنتجت، هجم هجمة وأخذك على غرة، وأشهد ما عرفت ولا حسبت قط بأن المجمع يريد ضمك إليه، وإنما أخذك فجأة في يوم ائتمر بك صديقان هما احمدامين يا بك وطه حسين فرشحاك، ولم يكادا يعرضان الأمر على المجمع حتى أجمع على اختيارك، وإذا أنت قد التهمك المجمع بعد أن التهمتك العربية التهاما من قبل.

وبعد ذلك وقف الأستاذ محمود تيمور بك فألقى كلمته. وقد بدأها بالتعبير عن تهيبه عضوية المجمع أو في الحقيقة عن تواضعه ثم تحدث عن الدكتور فيشر، جريا على السنة المتبعة في أن يتحدث الخالف عن السالف، فقال انه كان أحد أولئك الأفذاذ الذين تتراءى لهم في مؤتنف حياتهم أحلام عزيزة وكان الحلم الذي صبغ حياة الدكتور فيشر بصبغته أنه أراد أن يكون للغة العربية معجم يؤرخ ألفاظها ويتناول ما تعاقب على هذه الألفاظ من أطوار، راجماً بكل لفظ الى منزعه أو إلى ما يقابله في شقائق العربية من اللغات السامية، وهو مشروع جديد ليس له سوالف تيسر عليه مهمته وكأنما الأقدار قد هيأته لذلك العمل الضخم وأعانته بأدواته، فهو المتفقة في شتى اللغات السامية، وهو العليم بموازين الدراسات في اللغات على اختلافها، وهو البصير بقواعد البحث العلمي على أدق مناهجه، وهو الصابر المثابر، وهو صاحب الهوى المذري

للغة العربية على وجه خاص. صرف نفسه إلى منابع اللغة نفسها من منظوم ومنثور في العصر الجاهلي وصدر الاسلام وأكب عليها يستقرئ ألفاظها ويتبين معانيها في سياق الكلام ويستجلي تطور هذه المعاني وتنقلها بين الحقائق والمجازات، لبث الدكتور فيشر أطيب عمره في هذا العمل، ثم دعي إلى المجمع عضواً عاملا فيه، ثم طلب إليه أن ينجز معجمه في دار المجمع على أن تهيأ له وسائل الاقامة والعمل، فخف له واستمر فيه حتى كانت الحرب الشؤمى فحالت بينه وبين العودة السنوية لاستئناف عمله في وطن حلمه العزيز، وبينما كانت العقبات تذال في سبيل أن يعود عجلت به المنون الى عالم الغيب والشهادة، تاركا في هذه الدار صناديق معجمه تخفق فيها روحه، كأنها تنكر على الناعي أنه قضى.

ثم تحدث الأستاذ تيمور عن مهمة المجمع في المحافظة على سلامة اللغة العربية التي أصبحنا مؤمنين بأنها لغتنا التي يجب أن ننهض بتنميتها، ولذلك يعد المجمع من المؤسسات التي تقتضيها حياتنا الاجتماعية. ومما قاله في هذا البحث القيم: لا نثرب علينا في المفاخرة بأن لغتنا العربية غنية بألفاظها وتراكيبها، ولكن الغنى اللغوي لا يقوم باختزان الكنوز، ولكنه يقوم بمقدار التعامل، ونحن نملك من ودائع الألفاظ والتراكيب ما تضيق به خزائن المعجمات، فثانيا في ذلك مثل امرىء يحتاز القناطير المقنطرة من صكوك لا يجرى بها تعامل، على حين أن السوق مغمورة بصكوك أخرى يتعامل بها الناس، فالسوق في غنى عن صاحب تلك القناطير، وهو لما تحمل السوق من سلع فقير. ومنه قوله: وفي غير مستطاع المجمع اللغوي أن يصنع الألفاظ صنعا أو أن يفرضها على المدلولات فرضا، وإنما الذي يستطيع أن يفرض هو البيئة المثقفة وحدها، فالكتاب والعلماء والباحثون والدارسون في كل فن ومنحى هم الذين يستوحون ضرورة الاستعمال ويستلهمون ذوق التعبير، وعلى المجمع بعد ذلك أن يستصفي ما يتلقاه من لغة المجتمع بالتأييد أو الإقرار، حتى يكون مثله في ذلك كمثل الطعام، لا يطمئن الناس إلى صلاحيته إلا أن يختمه معمل التحليل بخاتم الأمان.

كشكول الأسبوع

□ عقد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية الجلسة الختامية لهذه الدورة يوم الأحد الماضي، وقد ناقش فيها المقترحات التي انتهى إليها الأستاذ الزيات في محاضرته «حق المحدثين في الوضع اللغوي» وفي العدد القادم أهم ما دار فيها.

□ في حفلة تكريم الأستاذ سعيد العريان قدم الأستاذ يوسف كامل محمد معهد الفنون الجميلة العليا تمثال توت عنخ أمون هدية للأستاذ سعيد، وكان يود أن يهدي إليه تمثال الكاتب المصري ولكن الوقت ضاق دون إعداده. وهكذا اشترك فن النحت في تكريم الأديب الكبير.

□ الآن أصبح التعليم في جميع مدارس وزارة المعارف والمدارس الحرة التابعة لها بالمجان في جميع أنواعه ومراحله، ولم يبق بمصروفات إلا التعليم الجامعي والعالي، وينتظر أن تعلن مجانيته في عيد الميلاد الملكي يوم ١١ فبراير الحالي. وذلك كله عمل عظيم لم يقدر عليه غير طه حسين العظيم.

□ يوجه معالي وزير المعارف اهتمامه نحو توثيق الصلات الثقافية بين مصر وسائر البلاد العربية، ومن مشروعاته في ذلك إنشاء مراكز ثقافية مصرية في الحواضر العربية، وتتجه عنايته بخاصة إلى تونس والجزائر ومراكش لإنشاء مدارس مصرية فيها. وقد صرح معاليه بأنه لا يعتقد أن مصر ستصادف عقبات في هذا السبيل، لأن لكل من فرنسا وإسبانيا بمصر منشآت ثقافية، ومصر ستطلب من هذه الدول أن تعاملها بالمثل، فتصر على إنشاء ما تريد لنشر الثقافة في البلاد العربية بشمال إفريقية، ولن تتوانى عن إغلاق الموجود في مصر من مدارس الدول التي تعترض على ذلك.

□ كانت العلاقات الثقافية الرسمية بين مصر والعراق، قد شابها شيء من غبار السياسة، ولكن الجو قد صفا في الأسابيع الأخيرة بفضل الاتصالات التي جرت بين رجال العراق الذين زاروا القاهرة أخيرا وبين الجهات المصرية.

□ صدر أخيرا كتاب «الأدب في ظل بني بويه» للأديب العراقي الأستاذ محمود غناوي الزهيري. والكتاب رسالة نال بها المؤلف درجة الماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الأول. وقد خص بالبحث فيه موضوعا يتصل بوطنه الخاص: العراق قدم به عملا أدبيا ممتازا للوطن العربي العام.

□ وافق معالي وزير المعارف على تعيين الأستاذ ابراهيم الإبياري مديراً لإدارة التراث القديم بالوزارة والأستاذ حامد عبد المجيد وكيلا لها، والأستاذان من أنشط المشتغلين باحياء الآثار الأدبية وأقدرهم على التحقيق. والإدارة تعمل الآن في إخراج كتاب «رفع الإصر عن قضاة مصر» لابن حجر العسقلاني.

تكريم العريان

في يوم الخميس الماضي احتفل جمع من الأدباء ورجال التعليم بتكريم الأستاذ محمد سعيد العريان في نادي الصحفيين . وكان من خطباء الحفل الأساتذة عطيـة الأبراشي وعبد الله حبيب ومحمود العزب موسى وطه عبد الباقي سرور . ومن الشعراء الأساتذة محمود غنيم وعلي الجبلاطي ومحمد مصطفى حمام وعزت حماد . وقد أناب عميد الأدباء معالي الدكتور طه حسين بك عنه الأستاذ حسين عزت مدير مكتبه فألقى كلمة بالنيابة عن معاليه عبر فيها عن مشاركته في تكريم المحتفل به وتقدير أدبه الممتاز وإنتاجه القيم

كانت كلمة الأستاذ الأبراشي جامعة شاملة ، إذ كان موضوعها « أثر الأستاذ العريان في الأدب والتعليم » وهو موضوع مترامي الأطراف اضطر فيه أن يمر بنواحيه مرورا عابرا أشبه بالإلمام بتقارير المفتشين منه بالدراسة الكاشفة ، ويظهر أن الوقت كان ضيقا فلم يكف لأن يتصفح الأستاذ كل مؤلفات العريان ، ولكن كان ينبغي أن يتجنب الحديث عما لم يتمكن من الاطلاع عليه وهو كتاب « حياة الرافعي » إذ قال عنه إنه دراسة تحليلية لأدب الرافعي ، وهو ليس كذلك ، إنما هو دراسة لحياة الرافعي لأدبه

وكان موضوع الأستاذ عبد الله حبيب « حياة الأستاذ العريان من مؤلفاته » وقد استطاع أن يصور ملامح شخصيته ونوازع نفسه بعرض أهم الأحداث في حياته وصداها في كتبه . وقد عرض لصلة العريان بالرافعي فذكر أن بعض الناس قالوا : لقد أصبح العريان رافعيا ، وأن الدكتور طه حسين قال . لم يصبح العريان رافعيا ولكنه أصبح مدره الرافعي . ثم ذهب الأستاذ عبد الله إلى أن الرافعي هو الذي أصبح عريانيا ، وفسر ذلك بأن كتابات الرافعي في عهده الأول كانت غامضة مستغلقة ، ثم كان في العهد الثاني يملي على العريان فكان هذا يتوقف عن الكتابة إذا أغلق بيان الرافعي ، فيقول له . حتى أنت يا عريان قد أصبحت عاميا . فيجيبه . إذا كنت حيال هذا النموض قد أصبحت عاميا فكيف يصبح حال الآخرين ؟ ثم تهدأ ثورة الرافعي فيعود إلى عبارته بالتوضيح والتقويم . وقد عقب الأستاذ العريان على هذا في كلمته الشاكرة — بأنه غير صحيح . عقب بهذه العبارة الإجمالية التي تشبه البلاغات الرسمية ، وكنا نود أن يبسط القول في هذه النقطة ولكن يظهر أن ملابساته الرسمية الأخيرة غلبت عليه ..

وتناول الأستاذ عبد الله حبيب في حديثه أيضاً مسألة إقصاء الأستاذ العريان عن وزارة المعارف ، فأشاد بفضل هذا الإقصاء على الأدب إذ تفرغ للدراسة والإنتاج ، فأصدر مؤلفات قيمة وكان بصدد مؤلفات أخرى لولا « جناية » وزارة المعارف أخيراً برضائها عنه .. إلى أن قال . هل لنا أن نلتمس من صاحب المعالي وزيرنا الجليل أن يتفضل بإقصائه عن الوزارة فترة قصيرة يفرغ فيها لإخراج هذه الكتب التي تعطلت بسبب رضائه عنه وإعجابه بكفايته ...

وكانت قصيدة الأستاذ غنيم رائعة خفيفة الظل ، قال في أولها.

كرموه تكرموا عريانا ليس الفضل وحده طيلسانا
قد كسته الطروس ثوب فخار وكساها من فنه ألوانا

وكان اسم « العريان » موضع الدعابة اللفظية والتفنن في المعاني للخطباء والشعراء ، ومن ذلك قول حمام .

متواضعاً ثوب الفضيلة فوقه كاس ويزعم نفسه عريانا

بل جر هذا الاسم إلى القافية في قصيدتي غنيم وحمام .

والملاحظ — على وجه العموم — أن الكلمات التي ألقيت — عدا كلمة الأستاذ عبد الله حبيب — كانت عامة ، فلم يركز أحد منهم اهتمامه بناحية من النواحي الأدبية للمحتفل بتكريمه تركيزاً يكشف عنها ويبرزها ، فمثلا لم أسمع من أحد منهم صدى واضحاً لقراءته كتاباً من كتب العريان . ولم يحددوا بالضبط مكانة أديبنا من أدباء العصر وخصائص أدبه الأصيلة .

ومما أستطيع أن أجله في هذه المناسبة ، أن الأستاذ العريان يجمع في أسلوبه بين البيان العربي الحر والرشاقة العصرية كما يجمع في موضوعه بين الإمتاع الفني والبحث الدقيق والمنطق السليم ، وإني لأراه يزحف إلى الصف الأول على رأس نفر قليل من أدباء الصف الثاني . ولا أخشى عليه من وزارة المعارف كما أخشى الأستاذ الأستاذ عبد الله حبيب ، فإن طبعه المكافح وروحه القلق لن يهدأ ولن يستطيع شيء أن يظفر به دون الأدب .

ويجرني ذلك إلى التصريح برأيي في شخصية الأستاذ سعيد ، وهو يخالف رأي أكثر الناس فيه ، إذ يقولون : إنه رجل طيب ، مخدوعين بما يبدو عليه في الظاهر من الهدوء والوداعة ، ومأخوذين بما يأتيه فعلا من العمل الصالح . والحقيقة التي أراها أنه ليس رجلا

(عثرات اللسان)

صنفه الاستاذ عبد القادر المغربي

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

لاعجب أن يصنف الأستاذ المغربي هذا الكتاب فهو من أشد العرب حرصا على سلامة العربية . وهو فى تصنيفه هذا الكتاب يسير على منهج كثير ممن سبقوه من أعلام اللغة العربية الذين كانوا يجدون فى كل عصر مايثير حفيظتهم ويحفزهم إلى حماية اللغة مما لايفتأ يهاجمها من اللحن والخطأ .

وقد دب اللحن إلى العربية منذ أكثر من عشرة قرون طيباً كما يفهم الناس من هذا الوصف بصرف النظر عن معنى الكلمة ، إنه هادىء الصفحة ولكن صخاب فيما دونها . . إنه داهية خطير . . هو فى ملابساته العملية كما تراه فى أدبه يتعمق الأشياء وينفذ إلى الدخائل ويستكشف الدقائق . إنه يكافح فى حرب صامتة وقد شوهد أخيراً يجول ويصرع . وقد كان وجوده فى منصبه بالوزارة أخيراً بمثابة « إرهاص » لاقبال الدكتور طه حسين بك . وكم تحتاج أمور الثقافة والتعليم فى وزارة المعارف إلى هذه العزائم الصادقة والهمم التى تمضى إلى ماتريد وهى لاتريد إلا الصالح العام .

لقد أثبت عميدنا الكبير ، كما أثبت أديبنا العريان ، أن الأديب — على خلاف مايقول بعض الناس من أنه إنسان خيالى غير عملى — أهل لادارة الأمور على خير مايكون وما ينفع الناس .

عباسى مضر

وكان فصحاء العرب كالحجاج بن يوسف نفسه يحاذرون أن يقعوا فيه ولا يكاد أحدهم ينجو منه .

والكتاب يحتوى على ثلاثمائة وخمسين كلمة بوبها الأستاذ على أقسام تجرى على ترتيب حروف المعجم . ولاشك فى أن اللحن فى اللغة يقع فى الوف من الألفاظ فحبذا لو استطاع الأستاذ أن يمضى فى احصائه بعد ذلك حتى يستوعب بالتصحيح كل الأخطاء الجارية على الألسن .

ولمثل هذا الكتاب فائدة غير فائدته فى التصحيح وذلك أن الأستاذ المصنف إنما يتناول الخطأ الجارى على السنة قطره ونستطيع منه أن نوازن بين لهجات الأقطار العربية لعل بعضها ييسر للبعض الآخر تصحيح الخطأ . وقد لاحظت فى تلك الأخطاء التى أحصاها الأستاذ أن كثيرا منها يستقيم فى لهجة العوام فى مصر . فالنذر مثلا فى لهجة الشام النذر بكسر النون وهو فى لهجة مصر النذر بفتح النون . والنثارة فى الشام بكسر النون أيضاً وهى فى مصر

وزارة المعارف العمومية

مراقبة التوريدات

سبق أن أعلنت الوزارة عن الحاجة الى كتب فى المطالعة العربية للمدارس الابتدائية

وحددت لتقديمها ١٥ يناير سنة ١٩٥٠ .

ولرغبة الوزارة فى إعطاء حضرات المؤلفين فرصة كافية لوضع كتب صالحة ، قررت امتداد ميعاد تقديم الكتب المذكورة الى أول ابريل سنة ١٩٥٠ ، على أن يكون هذا التاريخ آخر ميعاد لتقديمها

٤١١٠

بضمها وهو الصحيح . وكذلك النخالة فى الشام بكسر النون ونونها فى مصر مضمومة صحيحة . ويمكن أن نحصى من هـذا النوع عددا كبيرا نجده سائدا فى لهجة مصر محرفا فى لهجة الشام فمن ذلك المجون بضم الميم والمغربى بفتح الميم ومتر مكعب بضم الميم وتشديد العين المفتوحة ومساحـة بكسر الميم راجنة بفتح اللام وكناسة بضم الكاف وقنينه بكسر القاف وكرة القدم بفتح الراء وتخفيفها وقرض بفتح القاف وقدوم بفتح القاف وتخفيف الدال وهكذا .

واللغة العربية ليست ملكا لقطر واحد من الأقطار بل هى ملك مشاع بين جميع الشعوب العربية ولـه من الجدير بنا إذا أردنا تقويم اللسان فى الألفاظ الشائعة أن نبدأ بحصر المحرف فى اللهجات العامية على اختلافها حصرا شاملا ثم نعمد إلى جمع ذلك كله فى شبه قاموس نذكر فيه اللفظ العربى السليم ونوجه انظار الناشئه إليه فى معاهد التعليم فى البـلاد كلها . فلا كتفاء ببيان بعض الأخطاء عمل مشكور ولكنه لا يعالج الداء علاجا شافيا .

ولا يفوتنى هنا أن أشير إلى رأى ذهب إليه الأستاذ الفاضل فى مقدمة كتابه إذ قال :

« ولا يخفى أن إحياء اللغة الفصحى بيننا لا يمكن حصوله بمراعاة قواعد النحو فقط ولا بالتزام حركات الإعراب فى أواخر الكلمات التى نتكلم بها فى كلامنا الدارج فان هذا ليس بالميسور ولا المستطاع للجمهور . وإنما المستطاع هو تطهير كلامنا من الكلمات العامية المبتذلة واستعمال كلمات فصيحة مكانها . »

وهذا موضوع له خطورته فأنا أعرضه لطرافته وحسبى منه أنه دليل على ما للاستاذ من سعة الصدر وما عنده من الحماسة المشكورة على جعل لغة الحديث والحياة سليمة حية تقترب من لغة الكتابة فى فصاحة اللفظ وتجعل لغة الأدب مستساغة عند جمهور الناس

وبعد فاذا كان لى أن استدرك به على الأستاذ الفاضل فانى أظنه يذهب إلى نوع من التشدد الذى يجعل مهمة التقريب عسيرة مع أنه يسعى إليها ويدعو لها . فاذا كان لفظ يحتمل الأجازة على وجه من الوجوه كان الأجدر بنا أن نقره ولا نتشدد فى تخطيئه مادامت اللغة الفصحى لا تنكره ولا تأباه . فالبرسيم مثلا يجرى على الألسنة بفتح الباء وهو كلمة غير عربية الأصل على أكبر الظن إذ قد وجد فى مصر أقدم من الكلمة العربية مكسورة الباء فلا ضير فى بقاء اللفظ كما يستعمله الناس فى مثل هذه الحالة ومثل هذا نقول فى جرجير بفتح الجيم بدل جرها وكذلك لفظ تكنة بضم التاء وأظن أن مخطئه الذين يفتحون التاء والكاف فيه شيء من النظر فجمع هذا اللفظ على وجهين أولهما تكن بضم التاء وفتح الكاف والآخر بفتح التاء والكاف وهذا يشعر بأن اللفظ كان مستعملا فى المفرد بفتح التاء والكاف وأن لم يسمعه صاحب المعجم . والأستاذ مخطىء من قال الدخان بوزن رمان مع أن القاموس نص على صحة هذا الوزن .

وهو مخطىء من قال الدفعة بضم الدال والقاموس المحيط يذكر الدفعة من المطر . كما أنه لا يرضى أن نقول على الرحب بفتح الراء والرحب المكان المتسع ففيه وجه حسن .

وهو يصحح لفظ السحنة بفتح السين والحاء مع أنه يصح أن نقول السحنة بفتح السين واسكان الحاء وهـذا أقرب فى التصحيح وأيسر كما أنه يصحح لفظ قروى بضم القاف فيجعلها بفتح القاف مع أنه يجوز على أنه نسبة للجمع وهو مقبول لغة ويكون معناه النسبة إلى القرى عامة لا إلى قرية معينة وقد جرى الاستعمال على أطلاق لفظ القروى على الذى يعيش فى قرى الريف

هذه بعض ملاحظات صغيرة أعتقد أن الأستاذ الفاضل يرحب بمثلها فهو فى علمه وتحقيقه من الأعلام الذين يرضون عن الحقيقة أكثر من رضائهم عن الموافقة ولا يمكن أن تكون مثل هـذه الملاحظات اليسيرة إلا دليلا على فضل الاستاذ وتحية لجهده المشكور

محمد فريد أبو حديد

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٣٥ قرشا عدا أجرة البريد

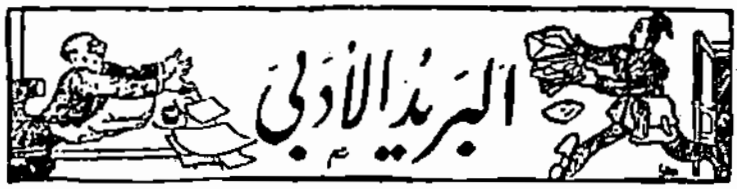

حول ترجمة قصيدة بودلير :

في مقالنا (الحب دوحة الأدب) ترجمنا كلمة recueillemen وهي عنوان قصيدة بودلير — بكلمة ضميمة . ولفت الدكتور عبد الرحمن بدوى نظرنا إلى أن هذه الكلمة لاتعنى هنا ماقصدنا ترجمته إلى العربية ، وانما تعنى التفكير أو التأمل وأشار علينا أن نترجمها بكلمة تأمل مباشرة .

وراجعت هذه الترجمة فوجدت أول الأمر أن القواميس أشارت إلى معنيين لهذه الكلمة . وهما الضم أو الجمع ، والتفكير أو الأنطواء على النفس فى حالة التأمل . بيد أن الشاعر لم يقصد إلى المعنى القاموسى الثانى مباشرة لأنه كان يريد أن يستلهم مافى الكلمة من روح دينية صوفية . ولذلك نستطيع أن نقول إن فيها تأملا وتفكيرا واستبطاناوتركيزا لعمليات الدماغ ولكنها ليست شيئا من ذلك كله على حدة .

وحينما ترجمناها بكلمة ضميمة فقد كنت أريد أن أشير بذلك إلى عملية استكناه الذات التى يقوم بها الصوفى وحالة الإرتداد إلى النفس التى يكون عليها المتأمل عندما يستجمع تفكيره ويقوم باستلهام فؤاده واستشعار ذلك الإحساس الغريب بالطمأنينة والسلام الداخلى وقت التهجد . ومن أبرز خصائص هذه العملية هو استجماع المدارك وضم الشاعر ولصق كل من اليدين بالأخرى على نحو مايفعل المصلى المبتهل .

فلم أخطىء كثيرا حينما ترجمت هذه الكلمة على ذلك النحو . وإذا شئنا دقة أكثر فإننا نستطيع أن نترجمها بكلمة (تهويمة) ففى هذه الكلمة التى اهتديت إليها بعد التفكير الطويل كثير من روح الكلمة الفرنسية كما قصد إليها بودلير . ونلاحظ بهذه المناسبة أن الكلمة نفسها بالفرنسية غير واضحة المعنى تماما .

وعلى كل فنحن نشكر للدكتور بدوى جميل عنايته وحسن توجيهه

عبد الفتاح الديدى

ذكرى الجارم بك

فى اليوم الثامن من فبراير الماضى فاضت روح الشاعر العالم على الجارم بك وشعره يتلى على مسمع منه رثاء للمغفور له محمود فهمى النقراشى باشا .

فنحن الآن على ميقات الذكرى من رجل أحيا تراث العربية وشدا بأمجادها ، حاكى فى قصيده الأولى من أهل البيان الصحيح وكان من الرعيل الأول الذين ظفرهم مجمع فؤاد الأول للغة العربيه وكان لى حظ معرفة الرجل عن كثب حين كنت فى عداد موظفى المجمع ، فأدركت مبلغ غيرته على العربية وثورته من أجلها إذ كان لايطيق مبدأ الترخص فى ألفاظها أو فى نحوها أوفى صرفها .

وكان — رحمه الله — على شدة بصره باللغة وفهمه لآدابها شديد التواضع فى العلم يبحث عن المعرفة فى مواطنها ، ويأخذ الحكمة من كل لسان ، يبدو له الرأى الخير فيعرضه علينا نحن تلاميذه الصغار . ويناقشنا فيه ويستدرجنا إلى القول ؛ حتى تتأدى له الحقيقة حرة خالصة من كل شيب !

نقول إننا على ميقات الذكرى الأولى لهذا العالم الكبير ، فهل فعلنا شيئا لتخليد ذكراه ، بل هل صنعنا شيئا حتى لاننساه؟ جواب هذا عند المجمع اللغوى وعند الذين تعهدوا بهدى الجارم وتأدبوا بأدبه .

ولقد كنت منذ أيام أزور مدينة رشيد مسقط رأس الشاعر العظيم ، ، فاذا هى كابية حزينة ذهب رواؤها القديم وعفى الزمان على تليدها وطارفها وبقيت بلدة تعيش على هامش الحياة . وسألت طائفة من المثقفين من أهل رشيد : أما زلتم تذكرون الجارم الذى خلد اسم مدينتكم فى شعره وتحدث عن نخيلها وبحرها ونيلها ؟ فقالوا لم نعد نذكر من أمجاد رشيد سوى اسم الجارم ، وليس لنا من العزاء إلا أن رشيداً ذكرت فى شعر الجارم بعد أن ذوت وأهملت إهمالا لم تنحط إليه مدينة من مدائن مصر جميعا .

وقيل لى إن طائفة من أعيان المدينة اقترحوا أن يسمى شارع « السوق » باسم « على بك الجارم » فأهمل مقترحهم . وامل مرد ذلك أن أهل العلم والأدب أمست بضاعتهم مزجاة لاتستحق الخلود ولا تصبر على أحداث الزمان ؟

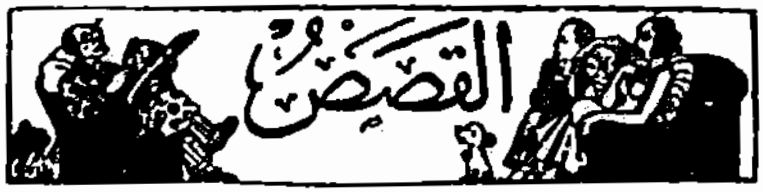

رسالة من صديق ..

للأستاذ غائب طعمه فرمان

كنا أربعة .. تربطنا رابطة وثيقة من التآلف والانسجام ، وتنبعث فى نفوسنا رغبات متسقة ، وآمال واحدة فى الحياة . . حتى يخيل إلينا أننا نؤلف كياناً مؤتلف الأركان فى دنيا تنهار تحت معاول الانشقاق !

وكنا نجتمع كلَّ أمسية فى بيت واحـــد منا .. نخلو إلى أفكارنا بعيدين عن ضجة الواقع ، وصخب العيش . . وكانت عقولنا تضل فى متاهات من الأفكار والتصورات ، وتهيم فى أفلاك بعيدة المدى ، غريبة عن الحياة ! . . وكل منا يحمل بين جنبيه قوة طاغية من التذمر والاندفاع وراء أخيلة غامضة حتى لقد ثبت فى ضمائرنا أن برزخاً عميقاً يفصلنا عن عالم الناس .. فقد كنا نعجب من سلوكهم ونسخر من إنشغالهم بالتوافه وصغائر الأمور . . أما نحن فنملك ذخيرة — لا تقدر — من الأفكار الرائعة ، ولا يشغلنا إلا مصير الإنسانية ومنشأ الوجود ، ولا تحفل إلا بعظائم الأمور ، لا تنقلب الرأى إلا فى آفاق الكون الفسيحة ! !

وكان « سامى » أكثرنا اندفاعاً ، وأعمقنا إيماناً . فقد كان روحاً هائمة فى أودية الغيب ! يسير مع فكره فى أجواء غامضة لا نهاية لها ولا حدود .. كان يزدرى الحياة ويعجب من متناقضاتها ، ويطوى نفسه فى أعماق وحدة من الفكر والشعور !

وشاء الله أن يفرق شملنا ، فقد سافر سامى إلى بيروت ، وسافرت أنا — بعده — إلى مصر ، وتطوّع ثالثنا للتدريس فى أحد أرياف العراق .. أما رابعنا فلم أسمع عنه شيئاً ! . .

وقضيت شهرين فى مصر سمحت فيهـا أن سامى سافر إلى باريس . . ثم مضت الأيام وشغلتنى أسباب الحياة عن الالتفات إلى الماضى لاسترجاع صوره ، وجميل ذكرياته . . حتى جاءتنى — ذات يوم رسالة طويلة تحمل طوابع فرنسية ، وعرفت أنها من صديق الصبا « سامى » . ولا أخفى على القراء شيئاً فقد ذُهلت من أمر هذه الرسالة ، فقد قطع سامى رباط صداقتنا منذ أن سافر إلى بيروت ونسيت أنا فى غمرة الأيام صاحبى ! . . ولكنّ هذه الرسالة أعادت لى صورة ذلك الراهب فى محراب الوحدة الموحش

« عزيزى

« ... لم تعودنى حياتى الماضية على أن أسارح أحداً ، وأطلعه على مكنون نفسى .. فقـد كنت أعيش فى عالم غريب عن كل الغرابة ، كريه إلى نفسى أشد الكره . . عالم لا تشغله إلا هموم المادة ، ولا تدور فى خلده إلا بواعث الجريمة . . فاذا تنكبت عن

كتاب الدرة لابن البيطار

أخرج الأستاذ محمد عبد الله الغزالى أمين مكتبة منطقة الأسكندرية التعليمية كتاب « الدرة البهية ، فى منافع الأبدان الإنسانية » لمؤلفه ضياء الدين أبى محمد عبدالله بن البيطار المالقى الأندلسى المتوفى سنة ٦٤٦ من الهجرة .

وقد عثر الأستاذ الغزالى على النسخة الخطية لهذا الكتاب النفيس يوم أن كان مدرساً فى الحرم الملكى بالحجاز ، فنشر منذ عشر سنوات موجزاً لها باسم « مفردات ابن البيطار » أقبل عليه الأطباء المحدثون وأدخلوا كثيراً من أعشابه فى « تركيباتهم » الأمر الذى حدا بالناشر على التوفر على النسخة الأصلية مرة أخرى فطبعها كاملة ، وأردفها بالمصطلحات الطبية فى اللغة اللاتينية . ثم عقب على « الدرة » بتعليقات قيمة عن تجاريبه وتجاريب الأطباء لأنواع النبات التى ذكرها ابن البيطار ، وخلص من ذلك إلى نصائح جمة أزجاها إلى الشباب لحفظ أبدانهم من التلف .

وقد ذكر لنا أكثر من طبيب من فضلاء الأطباء الفرنج أنهم أستفادوا كما استفاد مرضاهم من كتاب ابن البيطار ، ولا مشاحة فى أن الأستاذ الغزالى بذل جهداً يستحق عليه الثناء

الرمل

منصور جاب الله

عادتى وجاءتك رسالتى محملة ببعض أسرارى فما ذلك إلا لأنك صديق روحى ، ولأن إناء نفسى فاض على الجوانب .. ولم أستطع تحمل وطأة مشاعرى المضمرة فى صدر تتناهبه شتى الأعاصير !

وكثيراً ما كنت أخلو إلى نفسى ، وأستعرض صور الحياة الماضية ، وذكرياتها الدفينة فتلوح لى الحياة التى أحياها فصلا من « رواية » ساخرة فقدت عنصر التشويق ، وضاعت فى ضمير الغيب نهايتها ! .. لهذا فقد كنت ممتلىء النفس بالحقد ، زائغ البصر عن الغاية ، أدفع قدمى فى طريق وعرة خالية من الصوى.. لقد كنت أحاول أن أجعل من روحى ينبوع نور فى طريق حياتى المظلم ، وكنت أحاول أن أرتفع من وحول الواقع إلى سماء فلسفة مثالية سامقة .. ولكن الظلمات استنزفت ينبوع نورى .. وأحسست بقوة قاسية كثيراً ما كانت تدفعنى إلى .. الوحول !

وكنت .. وأنا فى نشوة فلسفتى أحس بأن هناك بين أيدى البشر ملاهى تلهيهم عن مآسيهم ، وتطلى وجه حياتهم البشع ببارق الألوان .. ولكن العقل المدرك لا تخدعه الأباطيل !

غير أنى أقر بأننى لم أستطع أن أبقى فى قمتى الباردة ، وأتطلع إلى وجه الحياة المرعب بعينين لا يداخلهما الخوف . . فالحب — مثلا — تلك اللهاة المزمنة . أو ذلك الغاز الخانق . كثيراً ما كان يغريني ويشعرنى بتفاهتى وأنا قابع فى أحراش وحدتى . فرحت أتطلع إلى مشرقه فى أفق قلبى بشوق شديد . . أرجوك أن لا ترمقنى رمقات يربض فى طياتها الاحتقار . فأنا رجل تعذب بأفكاره كثيراً . ولم أستطع أن أتحملها فجئت أبثها لك . . يا صديق روحى .

أصارحك بأن حياتى الماضية كانت خفقات جريحة ، وأشواقا مضطرمة ، وتهاويم فى عالم لا نهاية له من الآمال الكاذبة . لا تسخر ! . فان هذا المخلوق العاق المضطرب ، الذى أوردنى موارد الشقاء ، والمسمى « قلبى » كثيراً ما خفق ، وكثيراً ما تعذب ، ورقص كالمذبوح على أطلال حبه ، وعلى أشواك إخفاقه ! . لقد كانت الكلمة التى ينغنى بها قلبى وهو وحيدا تنطق بها شفتاه وهو فى حضرة معبودته ! .

ما ذا تظن يا صاحبى ؟! ..

أنحن الذين نفكر بمصير الانسانية ، وتشغلنا عظائم الأمور لا نفكر إلا بعقولنا ! . لا يا صديق . فلم يكن رائدى أنا على الأقل فى مجاهل الغيب ، وأسرار الكون ، وآفاق الإنسانية إلا قلبى . قلبى الذى تستعبده الأشواق الحائرة . إن قلبى كان دائماً دليلى وقائدى . أو قل كان جلادى ! فالنور الذى كان يتدفق منه يثير حلكة حياتى . كان فى الوقت ذاته يمشى ناظرى فأظل والحيرة دائماً تلازمنى كظلى !

وعند ما نزلت إلى بيروت كان الشك فى نفسى يمشمش ، وكنت لا أثق فى شىء أية مرة ، ولا أطمئن إلى شىء أى اطمئنان !

وفى بيروت صدمتى الواقع أول صدمة ، وامتلأت نفسى بالمرارة . .

سأروى لك القصة من أولها . . فعلى الرغم من مرارتها فأن شوقى كبير فى أن أصارحك بها لتجد نتيجة فلسفتنا المحلقة فى الأجواء العالية !

لقد بدت لى بيروت عالماً صاخباً لا يعرف الهدوء . أنا الرجل الراقد فى أحضان السكينة فى بغداد .. تلك المدينة التى مازالت تحتفظ بشىء من السحر القديم ! .

وفضلت السكنى مع عائلة فرنسية كريمة ، وعائلة قوامها أب وأم .. وابنة فى الرابعة عشرة من عمرها ! . أوه . . يا صديق لا تعلل فلك بابتسامة مثيرة ! . فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها لا تثير فى نفسى أية عاطفة . . وأنا فى ذرى السابعة والعشرين أحمل على عاتق أعباء فلسفة غامضة محلقة ! لقد عاهدت نفسى على ألا أدخل فى دهاليز الحب المظلمة ودروب العاطفة الملتوية . . لأن حياتى الماضية علمتنى أن القلب إذا خفق وحده تسرب فى خفقاته الذبول والاضمحلال ! وفلسفتى القائمة التى يزخر بها فكرى جعلتنى بعيداً عن تلك الفتاة الصغيرة ! فكنت أراها فى الصباح فأحييها تحية جامدة لا روح فيها ولا طراوة . . وماذا تثير فى نفسى هذه الفتاة ؟ . ثم ماذا خلف لى الماضى ؟ الماضى المفعم بالكروب المتلى طريقه بالاشواك ؟! . . ثم حياتى فى بيروت تكفينى أعباء كثيرة ، والنفس تجهد جهدها لتظفر بشىء من الراحة . ولكن لا راحة ولا اطمئنان !

وعندما كنت أرجع إلى بيتى ، وقد تحطمت قواى . أجدها

كالصورة الجميلة أو كالحديقة الغناء تحمل إلى الراحة، وأحس بالنسيم العبق يهب من جانبها !

وكنت أرتاح إلى ابتسامتها العذبة، وخفتها المرحة، ولهجتها العذبة. وماذا تطلب من فتاة في الرابعة عشرة لا تحس بالحياة غير هذا الاحساس. ولا تحتفل بالدنيا بغير هذا الاحتفال ؟

ورجعت مرة إلى بيتي وفوق كتفي تهبط الهموم ! فرأيتها جالسة وحدها وهي صامتة فحييتها تحية مدرسية. فوقفت بقوامها الرشيق، والابتسامة تشرق من شفتيها . . وعيناها تضحكان !

فرأيتني أتطلع إليها ! فقد لاحت لي زهرة غضة. أو عالماً صغيراً مليئاً بالأحلام تلك العوالم التي ضللت في مسارها طوال حياتي وعبق من أغوار ذلك العالم عطر مسكن. ورحت أتأملها كما أتأمل لغزاً جميلا !

وعندما خلوت إلى نفسي كان عطر ذلك العالم الصغير لا يزال يعبق في أنفي!

وغمرني فيض من الأفكار وأنا في فراشي. ودخلت في متمدح أحلامي أتجمل ! . ووقفت أمام مخيلتي هي. بقوامها الرشيق. وابتسامتها. وعيناها تضحكان ! ورحت أتطلع إلى خيالها كما يتطلع الانسان الى تمثال يشرق منه النور ! واتجهت بكل تفكيري وإحساسي إليها، فبدت لي حلوة عذبة كزهرة عارقة بشذاها فأشفقت إليها . لأول مرة . وأحسست بقوة تدفعني إليها دفعاً .

ولم أنم ليلتي ! . ويح قلبي ماذا جرى له ؟ ويح فكري ماذا يحمل من أفكار قاتمة ؟ ياويح نفسي إلى أية جهة تساق ؟

وفي الصباح كنت أحس بجوع صارخ لها . وطلعت علي كما يطلع النجم في ليل السارى . ونظرت إليها من تحت جفنين أثقلهما التعب، وأرقها التفكير الطويل، والسهر، والأوهام. فلاحت لي حورية !

ومن ذلك اليوم تبدل كل شيء !

رحماك لا تهزأ بي، فأنا رجل شقي. أنا أطلال من حياة إنسانية ! لقد عشت في جو كئيب غامض ليس له عطر. لقد حملت نفسي فوق طاقتها وبنيت على أساسها الرملي قصور فلسفتي ومعابدها، وأطلقت في جنباتها بخوراً من وجداني. ولكن اليوم أرقب معابد فلسفتي تنهار، وبخور وجداني يتحول إلى رائحة سامة. لقد كنت دائما أهرب من عملاق مارد إلى هيا كل فلسفتي وآرائي الشاذة. فقد كنت أخاف هذا العملاق أشد الخوف أتعرف ماهو ؟ إنه الحرمان. الجلاد الذي كان يسومني سوء العذاب إن حياتي لو كتبها قصاص لكان عنوانها الحرمان. الحرمان من كل شيء. فهذا الشيطان المريد يطاردني أني توجهت، ويرسم لي خطة قاسية في الحياة !

فاذا وقفت على أعتاب عالم جميل، وهربت من جلادي فأشفق علي، وأراف بقلبي العمود ! وإذا لاحت إيماضة في ليل وحدتي، أو خفقت نسمة ندية في صحراء جوعي العاطفي، فأرجوك ألا تسخر مني . . أنا الظمآن الذي كاد يقتله الظمأ !

أوه ياصديقي . . أنا على أعتاب العالم الجميل ؟ أرتجف ! . . وتتملكني هزات عنيفة فانا خائف أتوجس، خجل أتردد !

هذه حالتي . . أما هي فقد تسألني عنها . . هل تحس بما في نظراتي من لهفة، وبما تم عليه قسمات وجهي من شغف، وبما يختلج في صوتي من أصداء لعاطفتي الحبيسة ؟ فأجيبك بأنني لا أدري . . فقد كانت الطفولة تسبغ عليها ظلالا جميلة، وتخلق أمام عينيها أودية خضراء، وتفتح لها أبواباً من الانطلاق والسرور والاندفاع ؛ فهي مبتهجة دائماً، باسمة أبداً، دنيا من السحر والفتنة في كل الأحايين. أما أنا. المخلوق التعس فانني أتلمس خطاي إلى ينبوع عينيها، وتوخزني الاشواك وحدي !

ومرة رجعت إلى بيتي متعباً، فالحياة دائماً تحاربني كأنني لست من أبنائها فراحت معانيها تساقط من عيني، وأحس في أعصابي جفاء صحرائها !

وعندما دلفت إلى بيتي. رأيتها واقفة، والابتسامة تترقرق في محياها

يالله . . أهذه طفلة بنت الرابعة عشرة ؟

لقد بدت في عيني شيئاً آخر أكبر من طفلة. كانت ترتدي فستاناً أزرق كلون السماء الصافية، وقد شدت على خصرها النحيل نطاقاً أبيض كلون الثلج. أما محياها فقد أذهلني . .

ماهذا ؟ لم أعهدها تستعمل « الأحمر شفايف » ! ولم أعهدها تتزين ورحت أتطلع إلى وجهها ، وقد صبغته حمرتان : حمرة الخجل ، وحمرة من زينتها — ولاح على ناظري تساؤل وعجب !

أقسم لك إن حياتي الماضية لم تعلمني كيف أتصرف في مثل هـذه المواقف ، فهذه الصفعات من يد الأقدار ، وأنا مختنق بأفكاري ، أتلفت في آفاق حيرتي ؛ هزمت كل ثقة في نفسي ، وحطمت كل قوة من أعصابي ، وتركت في نفسي رماداً وهشيما ..

ورأيتني أتســـلل كاللص إلى غرفتي ... وبين جوانحي تعول الزوابع !

وفي وحدتي كانت الطيوف سماري ... وكانت صورتهـا دنياي التي ضللت في دروبها ... وساورتني شتى الأفـــكار ، وبقيت معذباً بحمى وجدي المخنوق . . . وقد سمعت في أعماق وجداني تلك الكلمة الساحرة ترن : أحبها . . أحبها . . نعم .. أحبها ... ولك الحرية في أن تنزلني منازل المجانين ... فأنا أريد أن أخلع رداء التستر وأواجه شمس الحقيقة . . فقد ضقت من دنيا الطلاء والخداع !

ستسخر مني وتقول : أهذا ممكن ؟ . . فتاة في الرابعة عشرة من عمرها تستحوذ على عقل رجل ، وتعبث فيه ؟ رجل كان يحتقر الدنيـا ، ويأنف من صغائر الأمور ، ولا يفـكر إلا بعظائم الأشياء !

أما أنا فأجيبك أن حياتي الماضية بدت لي سخيفة ، وكل تصرفاتي وأفكاري ليس فيها شيء من الحكمة والتعقل ! ..

جاءتني مرة وهي تقول : إن أمي ذهبت إلى أختها ! !

فنظرت إليها وكنت أقرأ كتاباً ، فأطبقت وغرقت في صمت أليم !

قالت : — ماذا تقرأ ؟

قلت : — قصة مغامر فاشل يتردى في كل مغامرة من مغامراته في هوة عميقة ...

قالت : — إذن — لـماذا يغامر ؟

— لست أدري . . ولـكن الذي أحسه أن الحياة كانت تدفعه دفعاً إلى المغامرة ... ثم تثاب عليه الأقدار في النهاية وتجره إلى الفشل الذريع !

— هذا داء عياء !

— أما أنا — شخصياً — فأعرف لدائه شفاء . . وهو أن يتاح له النجاح في مغامرة من مغامراته ! . . فيرضخ إلى حكم الحياة بعد ما يصيبه الـكـل .. ولـكن هل يكتب له النجاح ؟ ! لست أدري فالقوة التي تصوغ هيكل حياتنا لا نطلع على أسرارها ولا تمنحنا شيئاً من الحرية ! . . صدقيني كلنا مغامر في ميدان الحياة . . ولـكن نتائج مغامراتنا تختلف وتتعدد .

قالت وهي تبتسم وتألقت عيناها :

— وأنت مغامر في أي شيء ؟

وزأيتني أجابه بغفله ، ويأخذني الذهول ، من جميع اطرافي

قلت : — المشكلة هي أننا لا نستطيع تعيين وجهة مغامراتنا

ونظرت إليها وهي ساهمة مطرقة كأنها لا تسمعني ... ثم نظرت إلي نظرة صارمة وقالت :

— أتريد رأيي ... إنك لست مغامراً في أي شيء .

وخرجت .. تاركة عطرها ، وذهولي .. ورحت كالغريق في بحر لجي من الظنون .

ولم أرها في اليوم الثاني .. أتعاهدت مع الشيطان على قتلي !

وأصابني هم مقيم ، وأقعدت روحي المرارة ... ورحت أسأل نفسي :

— أحقا .. أنا .. لست مغامراً ؟

ولـكن ما الفائدة من المغامرة إذا كان يصيبها الفشل ! .. لقد حقـدت على ذلك المغامر الفاشل الذي كنت أقرأ حياته حقداً عظيما ، ولو رأيته وجها لوجه لصفعته وأنزلت عليه جحيم حقدي .. فإن الماضي المر الذي كان يصرخ وراءه منذراً إياه لم يسمعه ، وراح يركض وراء إخفاق جديد . أما أنا فشيء آخر .. إنني هربت من الحياة لانني أخاف المغامرة وأخاف نتيجتها .. والإخفاق الذي يخيم على سماء حياتي في كل عمل

أقوم به ترك كياني هشاً لا يتحمل النتيجة فلتمض الحياة في سبيلها .. ولأقبع في كهف قنوعي وقنوطي ولا أحفل بالمناصرات

وأقتنعت بهذا المنطق .. ولكن ليلى القاتم أعاد إلى ماحدث على صورة أشباح ، وأحسست بحزن طاغ يلف نفسي .. وبندم مرير يسومني سواء العذاب !

ولذعتني تلك الجمرة المتوقدة . فهي لم تنطفأ ، وصرخت في أعماق تلك الكآمة السحرية . . وقضيت ليلة ساورتني فيها هواجس وظنون !

وفي الصباح رأيتها صامته كأنها تفكر في أشياء مبهمه ، فرحت أنظر إليها ، وأحسست بقوة تدفعني نحوها ، وغاب عن بالي الماضي بظلماته وأركام آماله وأمانيه ، ووقفت في مخيلتي هي وحدها . فتقدمت إليها قائلا :

— جابي . . جابي . . أيتها الصغيرة إنني أحبك !

ونظرت إلي نظرة ساخرة ... ثم رأيتها تمط شفتيها بازدراء

— ولكنني أكرهك ،

ومضت في طريقي .. وتركتني في حيرة أسأل عن السبب !! تلك هي نهاية فلسفتنا ياصديقي .. أترانا مصيبين أم مخطئين ؟!

— أنا الآن في باريس .. أطل على عالم أخافه أشد الخوف .

القاهرة

غالب طعمة فرمان

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة الى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم والاقامة في الفنادق

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر اعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم للدرجة الأولى فقط والاقامة في الفنادق .

تشمل هذه التذاكر الاقامة في الفنادق المبينة بعد :

اسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و٤ ليال من القاهرة مليم	جنيه
فندق ونتربالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٦٠	١٨
فندق كاتاركت باسوان	» »	١٥٠	٢١
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٦٥٠	١٦
	» » » الثانية	٨٩٥	١٠
فندق جراند أوتيل باسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠	١٧
	» » » الثانية	٠٩٠	١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠	١٤
	» » » » الثانية	٤٤٥	٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	» » » الثانية	٣٥٥	٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	» » » الثانية	٣٥٥	٦